[سورة الصّافّات: مائة وثمانون آية][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾

في الموصوفين بهذه الصفات خلاف، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم الملائكة[2]، فقد أقسم الله سبحانه بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب منها قوة وضعفًا، بحسبها يفيض عليهم الأنوار الإلهية وترتب الزاجرات عليها بأنهم منتظرون لأمر الله، فصفهم في الهواء بأجنحتهم، وفي "المفاتح": أنه يجوز أن يُراد بصفوفهم مراتبهم المعينة والدرجات في الشرف والفضيلة[3]، وقال: «يجوز [٧٤٩/أ] أن يُراد آيات القرآن، فالصافات: دلائل التوحيد والنبوة والمعاد؛ فإنها لا تتغير، والزاجرات: الناهية عن الشر، والتاليات: ما عداهما، والوصف بها كقولهم: شعر شاعر»[4].

وقيل: قسم بطوائف الأجرام المترتبة الزاجرون للأجرام العلوية كالسحاب، والسفلية بالتدبيرات التي أمروا بها، وحمل صفهم في العبودية على تحصيل الكمال، والزجر على التكميل، وهو متأخر، أو الزاجرون الناس عن المعاصي بإلهام الخير، أو الشياطين عن التعرض لهم، التالين آيات الله وجلايا قدسه على أنبيائه وأوليائه، فيحصل للأرواح البشرية الكمالات بباهرات الجواهر الملكية.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج، ح)، ليست في الأصل ولا في باقي النسخ.

(٢) وهو الذي عليه أكثر السلف كابن مسعود رضي الله عنه، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد. ينظر: النكت والعيون (٣٦/٥)، زاد المسير (٤٤/٧).

(٣) مفاتيح الغيب (١١٤/٢٦).

(٤) مفاتيح الغيب (١١٦/٢٦) بمعناه.

قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]. وقيل: قسم بطوائف الأجرام المرتبة، فإنها كالصفوف المرصوصة، والأرواح المدبرة لها، والجواهر القدسية؛ فإنها مستغرقة في بحار القدس، شأنهم التسبيح بالليل والنهار، لا يفترون. وقيل: قسم بنفوس العلماء فإنهم صافون في العبادات، والزاجرون عن الكفر والمعاصي بالحجج والنصائح، التالين آيات الله سبحانه وشرائعه، وقيل: قسم بنفوس الغزاة، فإنهم صافون في الجهاد، زاجرون الخيل، أوالكفرة ومع ذلك يتلون ذكر الله، لا يشغلهم عنه القتال.

ثم ذكر الفاء على التفسير الأول لاختلاف الذوات، وعلى الثاني لاختلاف الصفات، كقوله:

.....فالصـابح فالغانم فالآيب [(١)]

جعل الصف كمالًا والزجر تكميلًا بالمنع عن الشر أو الدلالة [(٢)] إلى الخير والتلاوة إفاضته، ويجوز أن يكون العطف لاختلاف الرتب، كقوله عليه السلام: ((**رحم [الله][(٣)] المحلقين فالمقصرين**[(٤)]))[(٥)]، قدم للفضل ثمة، وهنا بالعكس.

وما قرئ بإدغام التاءات فيما يليها[(١)] لتقاربها؛ فإنها من طرف اللسان وأصول الثنايا.

---

(١) يشير إلى البيت:

يا لهفَ زيابةَ للحارث الصــابحِ فالغانمِ الآيبِ

والبيت لابن زيابة، ينظر: شرح ديوان الحماسة (ص:١٠٩).

(٢) في (ح): (والدلالة).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ب).

(٤) في جميع النسخ عدا (ن): (والمقصرين)، والتصويب من (ن).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الحلق والتقصير عند الإحلال (١٦٤٠)، ومسلم في كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير (١٣٠١)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بمعناه.

وجواب القسم وحده الإله، والتأكيد في القسم لتعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه.

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾

أي: هو رب السماوات، أو بدل من واحد، أو خبر ثان.

والتقييد بذلك لأنَّ وجودها على الوجه الذي هو أكمل الأوضاع مع إمكان غيره يدلُّ على أنَّ المخصِّص إرادةُ الصانعِ الحكيم، ومنه يلزم وحدته لما سبق في ﴿ لَوۡ كَانَ ﴾[٢].

وما بين السماوات والأرض يتناول جميع الجواهر والأعراض، فيدخل فيها أفعال العباد، فتكون مخلوقة لله تعالى، وهو دليل على المعتزلة[٣].

و﴿ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾ يعم مطالع الكواكب، وقيل: للشمس ثلاثمائة وستون، وقيل: مائة وستون، فإذا انتهى إلى آخره رجعت، وكذا عدد المغارب، وللاستلزام اكتفى بذكر المشارق، وتخصيصه لأنه أدل على القدرة وأتم في النعمة، وقيل: مائة وثمانون، ويتقيد[٤] بأن لا يختلف أوقات الانتقال.

فإن قيل: ما وجه تخصيص التوحيد بالشعراء، والجمع بالصافات، والتثنية بالرحمن [٥]؟ وهل لكل مناسبة أم لا؟

=

(١) قرأ بذلك حمزة، وأبو عمرو إذا أدغم. ينظر: السبعة في القراءات (١/٥٤٦)، تحبير التيسير (١/٥٢٧).

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

(٣) المعتزلة ينفون خلق الله لأفعال العباد. ينظر: الفرق بين الفرق (ص٩٤).

(٤) في (ح، ج، د): (ومتقيد).

(٥) يشير إلى توحيد المشرق وتثنيته وجمعه، فالتوحيد في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨]، والتثنية في سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿ رَبُّ =

قلنا: أما الأول لأن [1] المراد إلزام فرعون بالدلالة على وجود الصانع، ولو ذكر بلفظ الجمع لأوهم توقف الدلالة عليه، وإذا حصلت بالواحد فبالجمع بطريق الأولى من غير عكس. وأما الجمع في هذه السورة فلشدة العناية بالاستدلال؛ لأن المقصود التوحيد، وهو أشكل وأشد إنكارًا عند المخاطبين وهم المشركون الذين ألفوا الشرك، ويدل عليه افتتاح السور بالإقسامات العظيمة، ولا يشكل بورود النهي عن القسم بغير الله لأن المحلوف عليه في الحقيقة صنائعه، ومما يدل على العناية بذلك أنه ذكر جميع العالم من عالم الأفلاك والعناصر بأسرها، وأيضًا لما أراد بيان زينة السماء بالكواكب فالمناسب جميع المطالع [2]، ولمناسبة الجمع في السماوات. وأما في سورة الرحمن فوجه التثنية أن المذكور فيها آلاء الله ونعمه، والنعمة تتم بحصول مطلع الصيف والشتاء، فإن بهذا الاختلاف، يتم جميع النعم على ما هو الظاهر في التأثيرات التي يترتب عليها كمال أحوال الثمار والزروع وغيرها، ولا يتوقف ذلك على تعدد المطالع.

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾

استئناف يتبيَّن به كونُه ربَّ المذكورات.

والزينة ترد مصدرًا واسمًا، فالأول: كالنسبة، والثاني: كاللِّيقَة [3] اسم لما يزان به، كما أن الليقة لما يلاق به الدواة، وعلى الأول تكون إضافته إلى الفاعل أي: بأن زانتها الكواكب

= ﴿ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧]، والجمع في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ [الصافات: ٥].

(١) في (ح): (فلأن).

(٢) في (ح، ج، د): (المطالب)، وهو تحريف.

(٣) ليقة الدواة: هي ما اجتمع في وقبتها من سوادها بمائها. ينظر: لسان العرب (١٠/ ٣٣٤)، مادة: (ليق).

هي أضواؤها وأوضاعها، وأصله بزينة الكواكب، وإن أريد الإضافة إلى المقول[1] فالتقدير بأن زان الله الكواكب وحسنها. وقرئ على الأصل وهو: ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبَ﴾ تنوين الزينة[2] ونصب الكواكب[3]، وقرئ بالتنوين وجرها على البدل[4]، ويجوز النصب على أن يكون بدلًا من محل ﴿بِزِينَةٍ﴾، قال في "الأنوار" -جوابًا عن دخل مقدر في كون المزين بالكواكب السماء الدنيا-: وركوز[5] الثوابت في الكرة الثامنة، وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا إن تحقق لم يقدح في ذلك، فإن أهل الأرض يرونها بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الأزرق بأشكال مختلفة[6].

﴿وَحِفْظًا﴾ منصوبٌ بفعله [٧٤٩/ب]، والتقدير: وحفظناها حفظًا، أو يكون معطوفًا على زينة بحسب المعنى، إذ التقدير: خلقنا الكواكب زينةً للسماء وحفظًا من كل شيطان خارج عن الطاعة برمي[7] الشهب[8] عليهم.

وجمع ﴿لَايَسَّمَّعُونَ﴾ لإرادة الجنس، وقرئ بالتشديد [9] من التَّسَمُّع، وهو تَطلُّب السماع، يُقال: تَسَمَّع وقد يَسْمَع وقد لا يَسْمَع.

---

(١) في (ح): (المفعول).

(٢) في (ح، ج، د): (زينة).

(٣) قراءة عاصم في رواية أبي بكر. ينظر: السبعة في القراءات (١/٥٤٦)، إتحاف فضلاء البشر (١/٤٧١).

(٤) قرأ بذلك حمزة، وحفص عن عاصم. ينظر: السبعة في القراءات (١/٥٤٦)، إتحاف فضلاء البشر (١/٤٧١).

(٥) في جميع النسخ عدا (ن): (وكون)، والتصويب من (ن).

(٦) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٨٩).

(٧) في (أ، ب، ح، ج، د): (رمى).

(٨) في (ح): (الشهاب).

(٩) قرأ بذلك: حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف. ينظر: السبعة في القراءات (١/٥٤٧)، =

ووجه كون التخفيف[1] أولى قول ابن عباس رضي الله عنهما: (يَتَسَمَّعون ولا يَسْمَعون)[2].

ووجه ربط ﴿ لَّايَسَّمَّعُونَ ﴾ بالأول أنه بيان حال الشياطين المسترقة، فيكون كلامًا مبتدأ بعد ذكر حفظ السماء عنهم، كأن سائلًا قال: فما حالهم بعدما حفظت عنهم؟ قال: ﴿ لَّايَسَّمَّعُونَ ﴾، لا أنَّه صفة لكل شيطان؛ فإنه يقتضي أن يكون الحفظ من شياطين لا يسَّمَّعون؛ لأنه لا حاجة إلى الحفظ مع أنهم لا يسَّمَّعون، ولا يجوز أن يكون علة للحفظ على تقدير: لئلا يسمعوا، على حذف اللام وإهدار عمل أن؛ لأنه يكون التقدير مثل: جئتك لأن تكرمني، ثم حذف اللام وأبطل عمل أن، نحو:

أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحضُرُ الوَغَى[3] *** .....

لأن كل واحد من حذف اللام وإبطال عمل أن ورد منهم، لا مجموع الأمرين، فإنه منكر.

و ﴿ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾: الملائكة؛ لأنهم سكان السماوات، كما أن سكان الأرض الملأ[4] الأسفل. واستراقهم أو الكتبة وتعدية السماع بإلى لتضمن معنى الإصغاء مبالغة لتعميمه وتهويلًا لما يمنعهم عنه، والإصغاء استماع مع الإدراك، أي: لا يقدرون أن يستمعوا إلى كلام الملائكة وهم مقذوفون بالشهب من جميع جوانب السماء التي يصعدون إليها للاستماع، مدحورون أي: مطرودون، ودحور المفعول له، وصح أن يكون مصدرًا لقرب معناه من معنى القذف، ويجوز أن يكون حالًا، أي: مدحورين، أو نزع عنه الباء جمع دحر، وهو ما يطرد

=

(٥٤٧/١)، إتحاف فضلاء البشر (٤٧١/١).

(١) قرأ بالتخفيف باقي العشرة "غير من ذكر أعلاه". ينظر: السبعة في القراءات (٥٤٧/١)، إتحاف فضلاء البشر (٤٧١/١).

(٢) ينظر: النكت والعيون (٣٨/٥).

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو لطرفة بن العبد

أَلاَ أَيُّهذَا الزَّاجِرِي أَحضُرُ الوَغَى *** وأن أشهَدَ اللذات هل أنتَ مُخلدي؟

ينظر: ديوان طرفة بن العبد (ص٢٥).

(٤) في الأصل و(أ): (ملأ)، وما أثبته من (ح).

به، ويؤيده أنه يقرأ بفتح الدال [1]، وهو لا يُنافي المصدرية كالقبول، ويجوز أن يكون صفة، أي: قذفًا دحورًا.

ولهم عذاب دائم، يقال: وصَب الأمر وصوبًا[2]، أي: في الآخرة، أو شديد، ولا يستثنى عنه إلا من أمهل حتى خطف خطفة، وحينئذٍ يتبعه الشهاب الثاقب. و ﴿مَنْ﴾ مرفوعة بدلًا من فاعل ﴿لَايَسَّمَّعُونَ﴾ لا يسمع شيطان إلا الشيطان الخاطف.

الخطف: الاختلاس [3]، قال في "الأنوار": «المراد: اختلاس كلام الملائكة مسارقة؛ ولذلك عرَّف الخطفة»[4]. هكذا قاله، ومعناه أنه لو لم يُرَد بالخطفة أمرٌ معلوم كما سبق لم يكن للتعريف فائدة؛ لأنه لا يمكن حمله على الخبر لعدم استقامة المعنى، ولا شيء يدل على العهد إلا ما سبق.

ويقرأ ﴿خطّف﴾ بالتشديد بفتح الفاء وكسرها [5]، وأصلهما: اختطف، ويقرأ: ﴿اتَّبَعَ﴾[6] بمعنى: تَبِع.

---

(١) قراءة شاذة، قرأ بها: علي بن أبي طالب ﷺ، وأبو عبد الرحمن السلمي، ويعقوب الحضرمي، وابن أبي عبلة، والطبراني عن رجاله عن أبي جعفر. ينظر: شواذ القرآن لابن خالوية (ص ١٢٧)، المحتسب (٢١٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٥/١٥)، البحر المحيط (٣٣٩/٧)، فتح القدير (٤٤٤/٤).

(٢) الوَصَبُ: شدة التعب، وفيه: (عذاب واصب) أي: دائم ثابت، وقيل: مُوجِعٌ. ينظر: لسان العرب (٧٩٧/١).

(٣) ينظر: لسان العرب (٩/ ٧٥)، مادة: (خطف).

(٤) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).

(٥) قرأ الحسن، وقتادة: بكسر الخاء والطاء مشددة، وقرأ الحسن وقتادة وعيسى: بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة. ينظر: شواذ القرآن لابن خالويه (ص١٢٨)، البحر المحيط (٣٣٩/٧).

(٦) عن الحسن وقتادة. ينظر: شواذ القراءات (ص ٤٠٤)، وفي الكشاف (٤/ ٤٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٩)، بدون نسبة.

فإن قيل: قد جاء تصريحًا أنهم يُرمون بالشهب، وفي هذه الآية لا يجر[1] إلا ذكر الكواكب، وهم لا يُرمون بها!

قلنا: هذا متعلق بقوله: ﴿ وَحِفْظًا ﴾، وإن لم يذكر ما يحفظ به، وقد ذكر في غيره قيد هذا المطلق بذلك المقيد.

والشهاب ما يرى كأن كوكبًا انقض.

وذكر في "المفاتح" [2] أسئلةً، منها: أنه لا يصحُّ أن يكونَ بالمرميِّ إلى الشياطين الكواكب، وظاهر ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ ذلك بأنهم يقصدون. وذكر في "الأنوار" أن ما قيل: إنه -أي: الشهاب- كان [3] يصعد إلى الأثير، أي: الكرة النارية، فيشتعل، فتخمين، إن صح لم يناف ذلك؛ لأنه ليس فيه ما يدل على أنه ينقض من الفلك، ولا في قوله: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ ما ينافيه، فإن كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض، وزينة للسماء من حيث إنه يرى كأنه على سطحه[4].

وقد نقل في "المفاتح" عن القاضي[5]: أن الأقرب أن حال الشهاب وإن كانت موجودة موجودة قبل النبي ﷺ، لكنها كثرت في زمانه عليه السلام[6]. ولهذا قال في "الأنوار": «وما قيل:

---

(١) في (ح): (لم يجر).

(٢) مفاتيح الغيب (١٢٠/٢٦).

(٣) هكذا في جميع النسخ، ولعله من تحريف النساخ، ففي الأنوار: "بخار"، ينظر: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).

(٤) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).

(٥) أي: القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد البصري ثم البغدادي، ابن الباقلاني، العلامة الأصوليّ المتكلّم، صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه ، ولد سنة ٣٢٨هـ، وتوفي سنة ٤٠٢هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٣٧٩/٥)، ترتيب المدارك (٥٨٥/٤)، سير أعلام النبلاء (١٩٠/١٧).

(٦) مفاتيح الغيب (١٢١/٢٦).

إنه حدث بميلاد النبي ﷺ إن صح فلعل المراد الكثرة، ولا يبعد أن يصير رجمًا لشيطان يتصعد إلى قرب الفلك للتسمع»، قال: «واختلف في أن المرجوم يتأذى به فيرجع أو يحترق، لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب، كالموج لراكب السفينة؛ ولذلك لا يرتدعون»(١).

وهو أيضًا جواب عن قولهم: كيف يقصد(٢) الشيطان التسمع والحالة هذه، ولا يُقال: إن الشيطان من النار فلا يحترق، وأجاب في "المفاتح" بأن النار القوية إذا استولت على الضعيفة أهلكتها(٣). وزاد في "الأنوار" على هذا الجواب: أنه ليس من النار الصرف كما أن الإنسان ليس من التراب الصرف(٤).

ووصف الشهاب بالثقوب؛ لأن ثقوبه كأنه(٥) يثقب الجو بضوئه.

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

المسئول عنهم مشركو مكة، وقيل: أبو الأشد بن كلدة(٦).

أي: استخبرهم أن خلقهم أشد أم هذه المذكورات من السماوات والأرض والكواكب والشياطين وغيرها، وما قيل: المراد الملائكة أو غيرهم لا يناسب ذكره بعد فاء التعقيب المذكورة بعد هذه المخلوقات؛ لأنه تخصيص بلا دليل، لا سيما والإطلاق ينافيه، نعم ذكر

(١) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).
(٢) في الأصل، و(أ، ب، ج، د): (يقصدون)، وما أثبته من (ح، ن) وهو الأنسب للسياق.
(٣) مفاتيح الغيب (١٢٢/٢٦).
(٤) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).
(٥) في (ح، د): (كأن).
(٦) أبو الأشد، ويقال: أبو الأشدين الجمحي، واسمه كلدة بن أسيد بن خلف، قتل كافرًا، وكان قوي الجسم، وقد دعا رسول الله ﷺ لمصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه رسول الله ﷺ مرارًا ولم يؤمن. ينظر: البداية والنهاية (٢٥٦/٤)، الروض الأنف (٣/ ١٠٦).

﴿مَّنْ﴾ لتغليب العقلاء، وعاد وثمود [1] أيضًا خلقوا من الطين اللازب، فلا يناسب الحمل عليهم[2].

ومعنى الأشد: الأقوى، يُقال للقوي: في خلقه شدة، أو أصعب وأشق على إرادة رد إنكارهم البعث، والمعنى: أن من قدر على خلق هذه الأمور العظام لم يصعب عليه ما هو أهون؛ لأن خلقهم من طين لازب، وفيه الإشارة إلى الرخاوة، فإنه لا صلابة فيه.

وذكر في "الأنوار" في رد استحالتهم البعث أن المانع إما عدم قابليته المادة، ومادتهم الأصلية هي الطين اللازب الحاصل [٧٥٠/أ] من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي، وهما باقيان قابلان للانضمام، وقد علموا أنَّ الإنسان الأول كان منه إما لاعترافهم بحدوث [3] العالم أو قصة آدم، وقد شاهدوا تولد كثير من الحيوانات بلا توسط مواقعة، فلزموا [4] أن يجوزوا إعادتهم، وإما لعدم قدرة الفاعل، ومن قدر على هذه الأمور العظام قدر عليه[5].

واللازب: اللازم، والباء بدل من الميم [6]، من اللزوب، أي: اللازق أو الملتزق [7] من الطين الحر الجيد أو المنتن.

---

(١) ثمود: قبيلة عربية تنسب إلى ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وعمرت ثمود بعد هلاك عاد الأولى، وانتشروا ومنازلهم بين المدينة والشام ، في منطقة الحجر، أرسل الله لهم نبيه صالحًا عليه السلام فكذبوه وعقروا الناقة فأخذتهم الصيحة. ينظر: البدء والتاريخ (ص١٣٥).

(٢) في (ح، ج، د): عليه.

(٣) في جميع النسخ عدا (ح): بحدث، وما أثبته في: (ح)، وهو موافق لما في الأنوار، ينظر: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).

(٤) هكذا في جميع النسخ، وفي الأنوار: "فلزمهم"، ينظر: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).

(٥) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).

(٦) لقرب مخرجهما، وهو اختيار الفراء في معاني القرآن (٣٨٤/٢)، والزجاج في معاني القرآن (٢٩٩/٤)، وابن جرير في جامع البيان (٥١٠/١٩)، قال: "وإنما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء، والتراب إذا خلط بماء صار طينًا لازبًا".

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ١٤٧)، لسان العرب (١/ ٧٣٨).

و﴿ عَجِبْتَ ﴾ معناه: عجبت من قدرة الله على خلق هذه الأشياء وعظمها، وهم يسخرون من تعجبك أو إنكار البعث.

وقرئ بضم التاء [1]، والمعنى: أن بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي أني تعجبت منها، وهؤلاء بجَهلهم يسخرون منها، أو عجبت ممن ينكر البعث ممن هذه أفعاله.

والعَجَب من الله لا يكون على حقيقته، بل على الفرض والتخيل؛ لأن ذلك إنما يتصور ممن[2] يمكن منه أن يروعه شيء، فإنه روعة تعتري الإنسان عند استعظامه، وأيضًا قيل: إنما يعجب من لا يعلم، أو المراد لازمه وهو الاستعظام؛ ولهذا قيل: التقدير: قل يا محمد: بل عجبت، وقيل: على طريقة: ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤] و﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[3] [البقرة: ١٥].

﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

أي: ومن جملة عادتهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون، ولا ينفع فيهم ما يذكر من الدليل على صحة البعث؛ لقلة تفطنهم له، وإذا رأوا معجزة تدل على النبوة كانشقاق القمر

---

(١) قرأ بذلك: حمزة، والكسائي ، وخلف. ينظر: السبعة في القراءات (٥٤٧/١)، تحبير التيسير (٥٢٨/١).

(٢) في جميع النسخ عدا (ح): (من)، وما أثبته ثابت في (ح).

(٣) مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة التعجب لله تعالى على ما يليق به سبحانه، كما جاء في صفة المكر والاستهزاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١٢٣/٦): "والله بكل شيء عليم فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه؛ والله تعالى يعظم ماهو عظيم؛ إما لعظمة سببه أو لعظمته...، ولهذا قال: ﴿ بل عَجِبْتُ وَيَسْخَرُون ﴾ على قراءة الضم، فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة" اهـ بتصرف يسير.

يبالغون في الاستهزاء بها، ويحملونها على السحر، أو يدعو بعضهم بعضًا ليسخر منها، ويبالغون في النسبة إلى السحر، إذ المعنى: لا محل لهذا إلا السخرية الظاهرة في كونه سحرًا، وينكرون البعث قائلين: البعث وقت كوننا ترابًا وعظامًا، قال في "الأنوار" في بيان مبالغتهم: «بدَّلوا الفعلية بالاسمية، وقدموا الظرف» [(١)]. وأراد أنهم قالوا: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ دون: نبعث. وتقديم الظرف إنكار زمانٍ يقع فيه البعث، وهو أبلغ من إنكاره. قال: «وكرروا الهمزة مبالغة في الإنكار، وإشعارًا بأن البعث مستنكر في نفسه، وفي هذا الحال أشد استنكارًا، فهو أبلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الأولى [(٢)]، وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية[(٣)]»[(٤)].

هذا كلامه، وتقريره أن تقديم ما يشعر بعلة الاستحالة، وهو كونهم ترابًا وعظامًا، ثم تعقيبه بإنكاره، يدل على أنهم جعلوا ذلك علة الاستحالة؛ فإن تعقيب الحكم بالوصف مشعر بالعِلِّية.

ورفع ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ إما بالعطف على أنَّ واسمها، ولا مانع من العطف على الضمير في ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾؛ فإنه وإن لم يؤكد فقد فصل عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد؛ لأن اضمحلالهم أشد لطول الزمان.

وقرئ بسكون الواو [(٥)]، ومعناه الترديد بين القبيلين [(٦)]، ويقرأ بدل ﴿قُلْ نَعَمْ﴾: ﴿قال﴾[(١)]، أي: الله أو الرسول [(٢)]. ويقرأ: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين[(٣)]، أي: الجواب بثبوت

---

(١) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).

(٢) ينظر: السبعة في القراءات (١/٣٨٢).

(٣) السبعة في القراءات (١/٣٨١-٣٨٢)، تحبير التيسير (١/٤٢١).

(٤) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٠).

(٥) قرأ بذلك: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر. ينظر: حجة القراءات (١/٦٠٨)، تحبير التيسير (١/٥٢٨).

(٦) قال محيي الدين شيخ زادة: من قرأ بسكون الواو على أنها (أو) العاطفة التي لأحد الشيئين أو =

بثبوت الحشر والزيادة بالصاغرين لبيان حالهم حينئذٍ، كما قال النبي ﷺ في يس[٤] ((**نعم، يبعثك ويدخلك النار**))[٥].

والاكتفاء في الجواب بذكر المدلول دون الدليل لسبقه من الجواز[٦]، وقيام المعجز على صدق المخبر.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ حمل على أنه جواب شرط مقدر لقرينة الفاء، أي: إذا كان كذلك فإنما البعثة زجرة، أي: صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية، أي: من زجر الراعي بغنمه إذا صاح عليها فريعت لصوته، ومنه قوله:

زَجْرَ أَبي عُروةَ السِّبَاعَ إِذَا *** أَشْفَقَ أَن يَخْتَلِطنَ بالغَنَمِ[٧]

أي: بصوته بها.

وترتيب ﴿إِذَا﴾ المفاجئة عليه للإشعار بأن أمر البعث والإعادة كأمر كن في الإيجاد أولًا، و﴿يَنظُرُونَ﴾ حمل على ينتظرون أيضًا، أي: إذا قاموا من قبورهم.

= الأشياء، والمعنى أنبعث نحن أو آباؤنا. حاشية زادة (١٢١/٧).

(١) عن الأعمش. انظر شواذ القراءات (ص ٤٠٥)، وأوردها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤١)، من غير نسبة.

(٢) في (ح، ج، د): (والرسول).

(٣) أوردها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤١)، من غير نسبة.

(٤) أي: في قصة أبي بن خلف. وقد سبق ذكرها في تفسير سورة يس.

(٥) تقدّم تخريجه.

(٦) أي: لسبق ما يدل على جوازه.

(٧) البيت من المنسرح، وهو للنابغة الجعدي. ينظر: ديوان النابغة الجعدي (ص:١٦٣).

﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾: يوم الجزاء، أي: هذا يوم نُجازى فيه بأعمالنا، وهذا من كلام الكفرة.

و﴿ يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ وهو يوم القضاء والفرق بين السعداء والأشقياء، من كلام الملائكة.

و﴿ ٱحۡشُرُواْ ﴾ خطاب الله للملائكة، أو خطاب بعضهم بعضًا. ﴿ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾: أضرابَهم وأشباههم من العصاة، كالزاني مع الزاني، والسارق مع مثله [1]، [أو][2]نساءَهم اللاتي على دينهم قاله الحسن[3]، أو قرناءَهم من الشياطين، وما روي عن النبي ﷺ أنَّ المراد نظراؤهم من العصاة[4]، ينبغي أن يقيد الوصف بالكفر؛ ولهذا قيس الظلم لقرينة: ﴿ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

ومعنى الإهداء: تعريف طريق النار، وذكر الهداية على طريق التهكم، وذكر المعبود بـ﴿ مَا ﴾ لإخراج الملائكة والمسيح وعزير. وقيل: معنى اهدوا، والسائق [5] يسمى الهادي وهوادي الوحش لمقدّماتها[6].

---

(١) في (ح): (السارق)، وفي (ج): (السارق مثله).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ عدا (ح).

(٣) ينظر: الوسيط للواحدي (٣/٥٢٣).

(٤) هذا القول مروي عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، والنعمان بن بشير رضي الله عنهم ومجاهد، وقتادة، والسدي. ينظر: جامع البيان (١٩/٥١٩-٥٢٠).

(٥) في (ن): (السابق).

(٦) الهادية من كل شيء: أوّلُه وما تقدَّم منه، ولهذا قيل: أقبلت هوادي الخيل إذا بدت أعناقها . لسان العرب (١٥/٣٥٧)، مادة: (هدي).

﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ أي: احبسوهم. والمسئول عنه [٧٥٠/ب] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كلمة التوحيد[١]، وقيل: خطاياهم[٢]، وقيل: جميع أفعالهم وأقوالهم[٣]، وقيل: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ [الصافات: ٢٥]. والواو لمَّا لم تفد[٤] الترتيب جاز أن يكون السؤال قبل دخول الجحيم، وجاز وجاز أن يكون بعده.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أي: ما سبب عدم نصرة بعضكم بعضًا كما في الدنيا؟ وهو تقريع. ويقرأ: ﴿ لَا تَنَّاصَرُونَ ﴾ بالإدغام[٥]. ﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ ﴾ لانسداد طريق الحيل عليهم منقادون، يطلبون السلامة، أو متسالمون، أي: يسلِّم بعضهم ويخذله، والمتسائلون [٦] جاز أن يكون القادة والأتباع، أو الكفرة والقرناء، فسأل بعضهم بعضًا. وفُسِّر: يتخاصمون، وهو يدل على أن المراد المذكورون.

والإتيان عن اليمين لأنه أقوى الوجوه؛ لأن اليمين أشرف من اليسار وأقواها، وبها التصافح والتناول وغيرهما، فاستعيرت لجهة الخير.

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (١٤٢/٨)، وهو قول يحي بن سلاَّم، النكت والعيون (٤٤/٥).

(٢) قاله: الضحاك، ينظر: الكشف والبيان (١٤٢/٨).

(٣) قاله: ابن عباس رضي الله عنهما، ينظر: الوسيط للواحدي (٥٢٤/٣).

(٤) في (ح، ج، د): (يفد).

(٥) أوردها الزمخشري وابن حيان بدون نسبة. ينظر: الكشاف (٤/ ٤٢)، البحر المحيط (٧/ ٣٤٢).

(٦) في الأصل و(أ، ب، ج، د، ن): (النقصان) بدل (المتسائلون)، وما أثبته من (ح)، وهو المناسب للسياق.

فإذا قيل: أتاه عن اليمين أريد جهة الخير، وكانوا يتشاءمون بالشمال، فيسمّونها الشومى، عكس اليمنى، والشرع وافق ذلك ببعض الوجوه؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ جعل اليمنى للأمور التي يُتطلَّب فيها النظافةُ دون الشمال، وكان يحبّ التيامن [1]، والمحسن وُعِد أن يُؤتى كتابه بيمينه، والمسيء بشماله، وكاتب الحسنات على اليمين، وكاتب السيئات على الشمال [2]، وقولهم: أتاه من جهة الخير مجاز، فجعل اليمين مجازًا عنه، وإن كان على خلاف وضع أهل اللسان؛ لأن المجازات مسبوقة بالحقائق، وعنها تؤخذ، لكنه بغلبة الاستعمال نزل منزلة الحقيقة، وهذا إذا لم يجعل مستعارة بعلاقة القوة، فإن اليمين أقوى، وبها الأعمال الصعبة.

والمعنى: إنكم قهرتمونا بسلطانكم وغَلَبَتكم، حتى قسرتمونا بالحمل على الضلال، والسبب الحلف حيث حلفتم أنكم على الحق، وهذا حال الأتباع والضُّلَّال مع القادة والقرناء، فردوا عليهم: اخترتم الكفر على الإيمان من غير إلجاء، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ﴾ يزيل اختياركم وتمكنكم من الإيمان، بل كنتم طاغين، فطغيانكم حملكم عليه، ولعل الفريقين صادقان من وجه، حيث حصل ذلك بالمجموع، ويدل عليه.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾

عدل هذا الكلام عن الحكاية عنهم، وهي: (إنكم لذائقون) إلى لفظ المتكلم؛ لإخبارهم عن أنفسهم، وهو قول الرؤساء للأتباع، ومعناه: إنه لزمنا قول ربنا ووعيده بأنا

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري (٤١٦) ومسلم (٢٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله في طهوره وترجله وتنعُّله). لكن ليس هذا من قبيل التشاؤم باليسار والتفاؤل باليمين، وإنما هو أمر معقول المعنى حيث جُعلت اليد اليسرى لما يُستقذر كإزالة النجاسة ونحو ذلك، لتبقى اليد اليمنى مصونة لما سوى ذلك، والله تعالى أعلم.

(٢) في الأصل، و(أ، ب، ن): (وكانت الحسنات ضدها، وكان السيئات على الشمال)، وما أثبته من (ح، ج، د).

ذائقون عذابه؛ لاستحقاقنا العقوبة بفعلنا، أو إخبار الله بأنا نكفره ونستحق العذاب، أو أنه يعذبنا إن كفرنا، أو قضاؤه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾، حمل على الدعاء إلى الغي، فاستحببتم الغي على الرشد، وكانت دعوة مقتضية للمقصود لئلا ينافي إنكارهم الإغواء أولًا.

و﴿إِنَّا كُنَّا﴾ كالعلة، حيث أرادوا أن يكونوا مثلهم في الغي، وفيه أنه إنَّ أغواءَكم منَّا[1]، فإغواؤنا إن كان من غاوٍ آخر لزم التسلسل، فعلمنا أنه من جهة ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾.

وضمير ﴿إِنَّهُمْ﴾ للقادة والأتباع، فإنهم[2] مشتركون في العذاب؛ لاشتراكهم في الغي.

ومعنى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أن مثل ذلك العذاب يلحق كل مجرم؛ لأن السبب الإجرام، و﴿إِنَّهُمْ﴾ كالبيان لاقتضاء الإجرام العذاب، وهو أنهم كلما سمعوا كلمة التوحيد استكبروا عن التلفظ بها وترك الإشراك بالله ولم يرفضوا الأصنام، وقولهم للنبي ﷺ ونسبتهم إياه إلى الشعر[3] والجنون بيان حماقتهم، فإن المجنون لا ضبط له، فكيف برعاية الألفاظ الموزونة والمعاني المناسبة المحوجة إلى الأفكار الدقيقة؟! فهم المجانين في الحقيقة؛ ولذلك رد عليهم بنقيض قولهم، فإن مجيئه عليه السلام بالحق الذي هو التوحيد، والكتاب الإلهي الذي أوحى إليه، المشتمل على علوم فائتة للخطر الموافق لكلام الرسل قبله، لا يتصور إلا من أكمل الخلق عقلًا وفطانة، وليس في كلامه شعر قط.

وقرئ: (أإنَّا) بهمزة وياء بعدها خفيفة بلا مدٍّ، وبالمد، والأكثر بهمزتين[4].

---

(١) كذا العبارة في جميع النسخ.

(٢) في (أ، ح): (وإنهم).

(٣) في (ح، د): (الشر).

(٤) قرأ الحرميان وأبو جعفر وأبو عمرو ورويس بتسهيل الهمزة الثانية، وقالون وأبو عمرو وأبو جعفر يدخلون بينهما ألفًا، والباقون يحقِّقون الهمزتين معًا. ينظر: تحبير التيسير (ص٢١٠).

﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

يقرأ بنصب العذاب على تقدير النون [(١)]، نحو: ولا ذاكرونَ الله إلا قليلًا، بتقدير التنوين، وهو ضعيفٌ في غير المحلَّى، ويقرأ على الأصل[(٢)].

وجزاء عملهم بالسوء كالعمل من غير زيادة، كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾ [الشورى: ٤٠].

و﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ استثناء منقطع، وتخصيص الرزق المعلوم بالفواكه؛ لأنه يتلذذ بها، ولا يُراد بها التقوت بدل ما يتحلل للاستغناء عنه؛ لِمَا [٧٥١/أ] سبق في البقرة[(٣)] أن أجسامهم قد أعادها الله مؤبدة، لا على هذا الوجه، ففسر الرزق بالفواكه؛ لأن رزقهم كله فواكه.

ولقائل أن يقدح فيه لقوله تعالى: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة: ٢١]، والتلذذ لا ينحصر في الفواكه. وكونهم مكرمين مشعر بأن حصول ذلك لهم من غير تعب كما في الدنيا، والإكرام أشهى ما لذوي المروءات، كما أن الهوان أشد ما على النفس، كما سبق في: ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وإضافة الجنات إلى النعيم للإشارة إلى أنه ليس فيها إلا النعيم؛ لأن الإضافة مقدرة باللام المفيدة للاختصاص، وهي ظرف ﴿ مُّكْرَمُونَ ﴾، أو حال من ضمير ﴿ مُّكْرَمُونَ ﴾،

---

(١) عن أبي السمال. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٨).

(٢) قرأ الضحاك: (إنهم لذائقون العذابَ الأليمَ)، وعن أبي السمال وأبان بن تغلب: (إنهم لذائقٌ العذابَ الأليمَ). ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٥).

(٣) عند قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥]، ينظر: رسالة تحقيق الكتاب للباحث: ضيف الله ابن عيد الرفاعي ص٣٠٣-٣٠٤.

ويجوز أن يكون خبر ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾، و﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ ﴾ يحتملها أيضًا، والتقابل أتم السرور للأنس. وقيل: لا ينظر بعضهم إلى قفاء بعض، وهو حال من الضمير في متعلق ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ ﴾ أو ﴿ مُّكۡرَمُونَ ﴾.

﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ ﴾

يسمى الإناء الذي فيه الخمر كأسًا، أو الخمر نفسها[1]، كما قال:

وكأسٍ شَرِبتُ عَلى لَذَّةٍ[2] *** .....

وقيل: كل ما في القرآن من الكأس فهو الخمر، ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا، والمعين الجاري على وجه الأرض، الظاهر العيون[3]، أي: من شراب أو نهر معين، مشتق من عان الماء إذا نبع، وصف بوصف الماء لجريه في الجنة في أنهار؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ ﴾ [محمد: ١٥]، و﴿ بَيۡضَآءَ ﴾: صفة الكأس، ووصف باللذة للمبالغة، أو أنها تأنيث اللذ، يُقال: لذ الشيء فهو لذ ولذيذ[4].

ولَذٌّ كطعمِ[5] الصَّرْخديِّ تركتُه *** بأرضِ العِدا من خشيةِ الحدثانِ[1]

---

(١) الكأس: الزجاجة ما دام فيها شراب ، وقال أبو حاتم: الكأس الشراب بعينه ، وهو قول الأصمعي . لسان العرب (١٨٩/٦)، مادة: (كأس).

(٢) صدر بيت من بحر المتقارب، منسوب للأعشى، وعجزه: وأُخرى تَداويتُ منهَا بِهَا. ينظر: كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص٤٤٥).

(٣) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: (للعيون)، ففي الأنوار: ظاهر للعيون. و المعْن والمعِين: الماء السائل، وقيل: الجاري على وجه الأرض، وقيل: الماء العذب الغزير، وكل ذلك من السهولة. والمعْنُ: الماء الظاهر، والجمع مُعُنٌ. لسان العرب (٤١٠/١٣)، مادة (معن).

(٤) ينظر: لسان العرب (٥٠٦/٣)، مادة (لذذ).

(٥) في جميع النسخ عدا (ن): (الطعم).

ومثله أطب[٢] والغَوْل: الهلاك والفساد الذي في يلح [٣] في خفاء [٤]، ولاينزفون: من الشراب[٥] إذا ذهب عقله، ويقال للسكران: نزيف، وكذا المطعون إذا خرج منه جميع دمه.

وقرئ: ﴿ يُنزِفُون ﴾[٦] من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه[٧]، قال:

لئن أنزفتمُ أو صحوتمُ *** لبئسَ الندامى كنتمُ آل أبجرا[٨]

أو صار ذا نزف، نحو: أقشع السحاب صار ذا قشع يُقال: نزحت الركيَّة حتى نزفتها، ويُقال: نزف المطعون إذا خرج دمه كله. ويقرأ بضم الزاي[٩]، من نزف إذا سكر.

أي: لا فساد فيها من مخاصمة لزوال العقل أو غيرها من صداع وخمار كما في خمر الدنيا.

وتقديم الظرف قد سبق، ومن جملة اللذات الحور اللاتي قصرن أعينهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم.

---

(١) البيت من بحر الطويل، وهو للراعي النميري، ينظر: ديوان الراعي النميري (ص١٤٨).

(٢) هكذا في جميع النسخ، وفي الأنوار: (كطب).

(٣) هكذا في جميع النسخ، وفي اللباب: (يلحق)، ينظر: رسالة اللباب للكرماني ١٢٧٢/٢، [تحقيق إبراهيم الدومري].

(٤) الغَوْل: إهلاك الشيء من حيث لا يُحَس به، يقال: غال يغول غَوْلًا، واغتاله اغتيالًا. ينظر: المفردات، مادة: غول.

(٥) هكذا في جميع النسخ، ولعله من تحريف النساخ، والصواب: (الشارب) كما في الكشاف.

(٦) قرأ حمزة والكسائي وخلف: (يُنزِفون) بكسر الزاي، وقرأ الباقون: (يُنزَفون) بفتحها. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٦).

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (١٥٤/١٣)، لسان العرب (٣٢٦/٩)، مادة: (نزف).

(٨) البيت من بحر الطويل، وهو للأبيرد. ينظر: جمهرة اللغة (٨٢١/٢)، لسان العرب (٣٢٧/٩).

(٩) أي: (يَنزُفون)، عن طلحة. ينظر: البحر المحيط (١٠١/٩).

والعِين: جمع عيناء، أي: نجلاء وهي واسعة العين. والبَيض: حمل على بيض النعام؛ لأن شبه به؛ لأنها تحفظه بريشها عن الشمس والغبار، أو بياض البيض المسلوق، أو لونهن وملاستهن كالبيض[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كالدرر في صدفه[2].

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

معطوف على﴿ يُطَافُ ﴾ بقرينه عادة التحدث على الشراب قال:

وما[3] بَقيتْ منَ اللَّذَّات إلا *** أحاديثُ الكرامِ على الشرابِ[4]

كعادة الشرب، وإلا أحاديث الكرام على المدام[5].

والتساؤل يكون عن الأحوال الضارة والنافعة في الدنيا، وعن المعارف والفضائل، والمراد: يُقبِل ومجيئه ماضيًا على عادة كتاب الله تعالى، فـ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [الصافات: ٥١] في المكالمة إنه كان لي جليس في الدنيا يوبخني على التصديق، ويقرأ مشدودة الصاد[6]، من التصدُّق.

وقيل: نزل في رجل تصدق بماله لوجه الله، فاستعطى بعض إخوانه، فسأله عن ماله، فقال: تصدقت به ليعوضني الله به في الآخرة، فقال: أئنك لمن المصَّدِّقين؟ والله لا أعطيك

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٣١/٣) مادة: (عين)، لسان العرب (١٢٤/٧) مادة: (بيض).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥٤١/١٩).

(٣) في جميع النسخ عدا (ح): (من)، وهي كما أثبتها في (ح).

(٤) البيت من بحر الوافر، لأبي محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض، كاتب سيف الدولة ونديمه. ينظر: يتيمة الدهر (١٣٠/١)، ثمار القلوب (٥٦٥/١)، روح المعاني (٩٠/٢٣)، التحرير والتنوير (١١٥/٢٣). ونسبه ابن سعيد المغربي في المُغرب (٣١٨/٢) لأبي الحسن علي بن حريق.

(٥) هذه رواية أخرى لعجز البيت، ينظر: الكشاف (٤٦/٤)، البحر المحيط (٣٤٥/٧).

(٦) هي قراءة ابن كعب عن حمزة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٥).

شيئًا. وقيل: هما ما في الكهف حيثُ قال: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى﴾ الآية[1] [الكهف: ٣٧]، والاستفهام لإنكار أن يبعثوا، فيكونون محدثين. والدين الجزاء، أو المسوسون من دانه ساسه قال عليه السلام: ((**الكيس من دان نفسه**))[2].

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

القائل: قيل: الله سبحانه، أو الملَك.

﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ لأريكم ذلك القرين، فتعلموا منزلكم من منزل أهل النار.

وقرئ: ﴿مُطْلِعُونِ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعَ﴾ بكسر النون والتخفيف وضم الهمزة[3]، على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه؛ وذلك لأن أدب المجالسة يمنع الاستبداد به، أو الخطاب مع الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل، نحو:

هم الآمرون الخيرَ والفاعلونه[4] *** .....

لأن الأصل مطلعون إياي أو شُبِّه [1] لاسم الفاعل بالمضارع،كأنه قال: تطلعون للمؤاخاة بينهما، وهو ضعيف، لا يقع إلا في الشعر.

---

(١) حكاه السمرقندي في بحر العلوم (١٣٤/٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٦٣٨/٤)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، رقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه (١٤٢٣/٢)، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٠)، والحاكم (١٢٥/١) رقم (١٩١)، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، قال الترمذي: " قال هذا حديث حسن "، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، وتعقبه الذهبي بقوله: "لا والله، أبو بكر بن أبي مريم واه"، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٣١٩).

(٣) عن ابن أبي عبلة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٦).

(٤) صدر بيت من الطويل، وعجزه: إذا ما خَشُوا من مُحدثِ الأمْرِ مُعظمَا. ذكره سيبويه من غير نسبة، وقال: "وقد جاء فى الشَّعر وزعموا أنّه مصنوع". ينظر: الكتاب (١٨٨/١).

﴿ فَٱطَّلَعَ ﴾ القائل عليهم، فرأى القرين في وسط الجحيم، يُقال: تعبت حتى انقطع سوائي، أي: وسطي[٢]. فقال له مؤكدًا باليمين، والإرداء: الإهلاك.

و﴿ إِن ﴾ هي المخففة من المثقلة، واللام الفارقة، أي: قرب أن تهلكني بالإغواء.

ونعمة الله: التوفيق للإسلام، وكونه من أهل الجنة من أعظم الإنعام، ولولا لكنت [٣] من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت ومن دان بدينك، وقيل [٤]: شريكين [٥] أو آخرين[٦] أو الشيطان[٧]، قيل: عن ابن عباس: (إن في الجنة ينظر منها إلى أهل النار)[٨].

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [٧٥١/ب].

ما عطف عليه إما محذوف، أي: نحن مخلدون فما نحن بميتين، أي: ممن شأنه الموت.

ويقرأ: ﴿ بِمَائِتِين ﴾[٩].

---

(١) في (أ، ب، ح، ج، د): (وشبّه).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٨٦/١٣)، لسان العرب (٤١٣/١٤)، مادة: (سوي).

(٣) هكذا في جميع النسخ، ولعله من باب الاختصار، ففي الآية: ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات:٥٧].

(٤) أي: القائل وقرينه.

(٥) قاله: ابن عباس رضي الله عنهما. ينظر: جامع البيان (٥٤٣/١٩-٥٤٤).

(٦) هكذا في جميع النسخ، ولعله من تحريف النساخ، ففي اللباب: (أخوين)، ينظر: رسالة اللباب للكرماني ١٢٧٣/٢، [تحقيق: إبراهيم الدومري]، وقال بهذا القول: مقاتل. ينظر: الكشف والبيان (١٤٥/٨).

(٧) قاله: مجاهد، ينظر: جامع البيان (٥٤٣/١٩).

(٨) هكذا في جميع النسخ، وهناك سقط، ففي الكشف والبيان (١٤٥/٨): عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن في الجنة كُوى، فينظر أهلها منها إلى النار وأهلها.

(٩) عن زيد بن علي. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٦).

والموتة الأولى ما كانت في الدنيا، وتشمل على ما في القبر بعد الإحياء للسؤال، فلا يدل على نفي عذاب القبر، وهي منصوبة على المصدر أو الاستثناء المنقطع لأنه استثناء المصدر من اسم الفاعل.

وهذا من كلام السعداء، يقولونه رجاء وتحدثًا بنعمة الله، بخلاف الأشقياء، فإنهم يتمنون الموت كل حين؛ ولهذا الأشد (١) من الموت ما تمنى (٢) فيه الموت، وبمسمع من قرينه، وقيل: هو من تمام كلامه معه، وهذا يناسب أن يكون قبل اليأس عن الموت بتصويره كصورة كبش(٣) وذبحه كما ورد (٤) وأيضًا يحكيه الله فيكون مرغبًا ومرهبًا (٥)، وهذا إشارة إلى ما هم هم فيه. وقيل: هو قول الله تعالى.

ويقرأ: ﴿الرزق العظيم﴾(٦). وهذا إشارة إلى النعيم المقيم والفوز العظيم، أي: ينبغي للعاملين أن يعملوا لمثل هذا الذي لا آخر له، لا لنعم الدنيا الفانية المشوبة بالآلام.

﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥﴾

(١) في (ح): (أشد).

(٢) في (ح): (مايتمنى).

(٣) في جميع النسخ عدا (ن): بتصييره أن يكون كبش، وما أثبته في (ن).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه (كتاب: التفسير، تفسير سورة مريم، الحديث: ٤٧٣٠)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذبَح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**)).

(٥) في (ب): رغبًا ورهبًا.

(٦) ذكرها الزمخشري من غير نسبة. ينظر: الكشاف (٤/٤٧).

أصل النزل الفضل، والريع في الطعام، فاستعير للحاصل من الشيء [(١)]، وحاصل الرزق الكريم السرور، وحاصل شجر الزقوم الويل والثبور، ويُقال: النزل للطعام المهيأ للنازل بالمكان، والمعنى: أن الرزق الكريم قد هيئ نزلًا، ويعلم منه أن لهم ما وراء ذلك ما يقصر منه الأفهام، وكذلك الزقوم لأهل النار، وشجر الزقوم ولأهله وأيهما خير [(٢)] من جهة النزل، فهو منصوب على التمييز، أو الحال.

وهذا توبيخ، وإلا فلا خير في الزقوم، المعنى [(٣)]: موجبات أيهما خير، وهو اسم شجرة بتهامة صغيرة الورق نتنة مرة قيل: الزقوم طعام يبلعه الإنسان بمشقة عظيمة، سميت به الشجرة الموصوفة[(٤)].

ومعنى ﴿فِتْنَةً﴾: محنةً وعذابًا لهم في الآخرة أو ابتلاء في الدنيا، وأنهم قالوا: كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر [(٥)]؟! فكذبوا. ومنبتها قعر جهنم، وأغصانها مرتفعة إلى دركاتها. ويقرأ: ﴿نابتةٌ﴾[(٦)].

روي أن ابن الزبعرى قال: إن محمدًا يخوفنا بالزقوم، وهو بلسان بربر التمر والزبد [(٧)]، وقيل: السمن، وروي أن أبا جهل أدخلهم بيتًا وقال: يا جارية زقمينا، فأتتهم بالزبد، فقال: تزقموا، فهذا ما يوعدكم محمد، فأنزل الله صفتها[(٨)].

---

(١) النُّزُل والنُّزْل: ما هيئ للضيف إذا نزل عليه ، ويقال: إن فلانًا لحسن النُّزْل والنُّزُل ، أي: الضيافة. انظر: تهذيب اللغة (١٣/١٤٤)، لسان العرب (١١/٦٥٨)، مادة: (نزل).

(٢) في جميع النسخ عدا (ح): (وأيما خيرًا)، وما أثبته في (ح)، وهو موافق لما في الكشاف.

(٣) في (ح، د): (وهذا) بدل (المعنى).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (٨/٣٣٢)، لسان العرب (١٢/٢٦٨)، مادة: (زقم).

(٥) في (ح): (الشجرة).

(٦) عن ابن مسعود. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٩).

(٧) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١/١٣٥).

(٨) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٩/٥٥٢).

والطلع وإن كان يُقال لتمر [1] النخيل، لكن استعير هنا لطلع الزقوم، قيل: إما لتشبيه لفظي أو معنوي، ولعل الأول متعين. والمراد برؤوس الشياطين للإشعار ببلوغه نهاية قبح المنظر؛ لأن الشيطان لما اعتقدوا الناس شر محض، فإذا بالغوا في القبيح قيل: كأنه وجه الشيطان، وإذا صور أتى بأقبح ما يمكن أن يصور، كما كان في الملَك بالعكس، فقال: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، وهذا يسمى في البيان: تشبيها تخييليًا؛ لأن المشبه به غير مشاهد محسوس؛ كأنه قال: أقبح الأشياء في الوهم والخيال رؤوس الشياطين، ومنه تشبيه امرئ القيس بأنياب الأغوال [2]، وقيل: نوع من الحيات لها أعراف ورؤوس قباح[3]، قيل: الشيطان شجر معروف عند العرب قبيح الأعالي [4]، وقيل: رؤوس الشياطين الشياطين حجارة سود حول مكة[5].

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

أي: أهل النار لا محالة يأكلون من تلك الشجرة، إما لشدة الجوع، أو للإكراه عليه. ثم بعد الشبع منها بطنهم [6] يسقون من غسَّاق، شوبه أي: مزاجه من حميم، أي: شديد

(١) في (ح): (لثمر).

(٢) وذلك في قوله من بحر الطويل:

أتقتلني والمِشرَفِيُّ مُضاجِعِي *** ومَسنُونَةٌ زُرقٌ كأَنيابِ أَغوالِ

ينظر: ديوان امرئ القيس (ص١٣٧).

(٣) حكاه الفراء في معاني القرآن (٣٨٧/٢).

(٤) حكاه الزجاج في معاني القرآن (٣٠٦/٤).

(٥) قاله مقاتل، ينظر: النكت والعيون (٥٢/٥).

(٦) كذا في جميع النسخ.

الحرارة، يشوي وجوههم، وهو قسيم شراب الجنة، فإن مزاجه من تسنيم، وهو تسمية بالمصدر، وما يقرأ بضم الشين[1] يكون اسمًا.

وذكر ﴿ ثُمَّ ﴾ للإشعار [أنهم][2] لا يسقون مع ذلك العطش إلا بعد زمان؛ زيادة في التعذيب، أو أنه لما كان ذكر الشراب بما هو أبشع ذكر ﴿ ثُمَّ ﴾ للدلالة أتى بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ للإشعار ومثابته صفته صفة الزقوم في زيادة ضرره.

وأما ﴿ ثُمَّ ﴾ في بيان المرجع فقيل: إنهم يُساقون إلى شجر[3] الزقوم ليأكلوه، ثم يردون إلى الدركات، وهو ضعيف؛ لأن الكل من الجحيم[4]، لا سيما وقد سبق أن أغصانها ذهبت[5] إلى الدركات. وأحسن ما قيل ما نقل في "الأنوار": (أنهم قبل دخول جهنم يُقدم إليهم الزقوم والحميم على طريق النزل أو الحميم خارج لقوله تعالى: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤]، يورَدُون إليه كما يورَد الإبل إلى الماء، ثم يُرَدُّون إلى الجحيم، ويؤيده ما يقرأ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ مُنقَلَبَهُمْ إِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾[6])[7].

و﴿ إِنَّهُمْ ﴾ تعليل لاستحقاق ذلك العذاب، وهو اتباع الآباء في الضلال.

---

(١) قرأها بضمّ الشين شيبان النحوي. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٨)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٦).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في: (ح).

(٣) في جميع النسخ عدا الأصل: الشجر.

(٤) في (ح، ج، د، ن): (الحميم).

(٥) في (أ، ب، ح، ج، د): (ذهب).

(٦) ذكر هذه القراءة الزمخشري من غير نسبة، ووقع عنده (لإلى) بدل (إلى). ينظر: الكشاف (٤/٤٩).

(٧) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٣).

وفي ذكر الإهراع -الذي هو الإسراع الشديد كأنهم يزعجون- مبالغة في ميلهم إلى الضلال، وأنهم لم يتوقفوا فيه ليتفكروا وينظروا في بطلانه. يُقال: هرع وأهرع إذا استحث.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

أي: ضل قبل أهل مكة أكثر الأمم الماضية.

ولقد بعثنا فيهم أنبياء أنذروهم العواقب في العواقب [1]، فانظر -يا محمد- إلى عواقب الذين أنذروا من الهلاك في الدنيا والعذاب في [٧٥٢/أ] العقبى، واستثناء المخلصين -ويقرأ بفتح اللام[2]- لأنهم أخلصوا دينهم، فنفع فيهم الإنذار، أو أخلصهم الله لدينه.

والخطاب وإن كان مع الرسول عليه السلام، لكن المراد قومه أيضًا؛ فإنهم بما آل إليه حال الأمم المكذبة ورأوا آثارهم في الأسفار كأصحاب الحجر وقوم لوط.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

لما بين سبحانه إنذار الأمم بدأ ببيان حال نوح عليه السلام، فإنه كأول الأنبياء دعوة، وفيه بيان تكذيب المنذَرين، فإنه إنما نادى حين أيس عن إيمانهم.

واللام في ﴿لَنِعْمَ﴾ جواب القسم، أي: فوالله لنعم المجيبون. والمخصوص بالمدح نحن، والجمع للتعظيم، أي: نحن نصرناه على أعدائه، وانتقمنا منهم. وفي تقديم ضمير الذرية دليل

(١) (في العواقب) وردت في الأصل و(ن) فقط.

(٢) قرأ الكوفيون ونافع وأبو جعفر: (المخلَصين) بفتح اللام، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: تحبير التيسير (ص٤١٣). وهذا أحد المواطن التي خالف فيها المؤلف القاعدة التي ذكرها في المقدمة، حيث قال: (ويقرأ) مع أن القراءة متواترة.

على أنه لم يحصل من[1] نسل من كان معه في السفينة غير ذريته؛ إذ المعنى: أنه ما بقي أحد غير ذريته. وقيل: المعنى: أن نسل أولاده هم الباقون، فسام من أولاده أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج[2].

ومعنى: تركنا عليه في الأمم الآخرين هذه الكلمة، وهي ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ أي: مسلِّمون عليه، ويدعون له، وهو مثل قراءة ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١] بالرفع، فإنه على وجه الحكاية، والتقييد لتعميم التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والإنس والجن، وفيه تعظيم أمر الإيمان حيث علل سبحانه إعطاء تلك التكرمة بكونه محسنًا، ثم بين أن إحسانه إيمانه، فيه بيان أن نهاية ما يمدح ويعظم به الإيمان.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

تخصيص إبراهيم عليه السلام بكونه ممن شايع نوحًا عليه السلام على أصول الدين وإن اختلفت فروعهما لاحتمال أن يكون التوافق بينهما أكثر، أو على مصابرة المكذبين والتصلب في دين الله، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (من أهل دينه، وعلى سنته)[3]، وما كان بينهما إلا هود وصالح، والزمان ألفان وستمائة وأربعون سنة.

و﴿إِذْ﴾ متعلق بالشيعة، أي: ممن شايعه حين جاء ربه لإبراهيم، أو اذكر، وسلامة القلب يتناول خلوتها[4] عن جميع آفاته، والتقييد بالشرك تخصيص لا يتضمن تعظيمًا[5].

---

(١) في (أ، ب، ج): (ممن).

(٢) ينظر: البداية والنهاية (١/١١٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٢٣/٦٩).

(٤) في (ب، ن): (خلوها).

(٥) قال مجاهد والسدي: سليم من الشرك والشك، ينظر: جامع البيان (١٩/٥٦٥)، وقال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص ٢٠٣): "أي: لم يشرك به قط". وقول المؤلف رحمه الله: "لا يتضمن =

والمجيء إلى الرب بالقلب السليم قيل: مثله لإخلاصه القلب لله [1]، وقيل: حزين من السليم وهو الملدوغ[2]، وكأنه أتحف الحضرة الإلهية بذلك الإخلاص.

و﴿ إِذْ ﴾ الثانية إما بدل من الأول، أو ظرف لـ ﴿جَآءَ﴾ أو ﴿سَلِيمٍ﴾. وتقديم ﴿أَئِفْكًا﴾ مع أن رتبة المفعول التأخير وكذا المفعول له؛ لأن التقدير: أتريدون آلهة دون الله إفكًا؛ لأن الأهم عنده تقرير أنهم على الباطل، وأساس أمرهم على الشك. وقيل: ﴿إِفْكًا﴾ مفعول به، و ﴿ءَالِهَةً﴾ بدل منه، وفيه مبالغة حيث جعل الآلهة نفس الإفك، أو المراد عبادتها، بحذف المضاف، وإن جعل ﴿إِفْكًا﴾ حالًا فعلى تقدير آفكين.

ومعنى ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ أنه إذا كان الله رب العالمين، فهو المخصوص بالعبادة، فما الذي ظننتم به حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام؟! هل أمنتم من عذابه؟! والمقصود: إنكار أن يوجد ما يقتضي ظنًا، فضلًا عن قصد يصد عن عبادته، بل يجوز الإشراك به. وهذا على طريقة الإلزام لأنهم إذا كانوا عالمين بأنه رب العالمين، لزمهم القول بالوحدانية، برهان لا يخفى على العاقل بعد التأمل.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾

أي: في علم النجوم [3]؛ لأنهم كانوا لأهله، أو كتابتها، أو نفس النجوم ومواقعها واتصالاتها، أو لأمارة وقت بأن تأخذه الحمى، وهذا يقتضي أن يكون بالليل، ولا يناسب ما قيل: إنهم تركوه وذهبوا إلى عيدهم، ولا يمنع منه حيث يعتقد أنها وسائط لا تأثير لها

= تعظيمًا"، فأي مقام أعظم من خلو القلب من الشرك؟!

(١) قاله الضحاك. ينظر: النكت والعيون (٥/٥٤).

(٢) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/١٧١).

(٣) لم ينقل أن إبراهيم عليه السلام تعلم علم النجوم، وإنما نظر في النجوم محاكاة لما يفعله قومه ليوهمهم بذلك. ينظر: جامع البيان (١٩/٥٦٧)، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص٣٣٦).

باستقلالها[1]، لا سيما والقصد إيهامهم أنه سقيم بالطاعون؛ فإنه كان أغلب أمراضهم؛ لئلا يوهم توافقهم على الذهاب إلى معبدهم، وقيل: النبات متخيرًا ما فيه شفاء[2]، أو لعدم كمال العلم، وكانوا يخافون العدوى، ولا كذب فيه، بل هو من المعاريض، كما سبق أن المراد أنه على صدد وأنه لا يتَّفق مزاج معتدِل، وأنه سقيم القلب بكفرهم، أو بصدد الموت، ومنه المثل: كفى بالسلامة داء، قال لبيد:

فدعوتُ ربي السلامة[3] جاهدًا *** ليُصِحَّني فإذَا السلامةُ داءُ[4]

وقيل: مات شخص فجأة، فقالوا: مات من غير داء، فقال أعرابي: من كان الموتُ لازمَه كيف يكون بلا داء؟!

﴿ فَنَوَلَّوْاْ ﴾ لَمَّا سمعوا هاربين مخافةَ العدوى.

والاعتذار بأن الكذب جائز في بعضٍ -كما في الحرب، والزوج مع الزوجة، والإصلاح بين الناس- ليس بسديد؛ لأن الصحيح من المذهب أنه حرام مطلقًا[5].

---

(١) نسبة شيء من الحوادث الأرضية إلى النجوم على أنها هي التي تؤثر في ذلك وتوجده شرك أكبر، ونسبته لها على سبيل السببية شرك أصغر، وأما نسبته لها كظرف ووقت فهذا لا بأس به . ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٣٦)، شرح الطحاوية (ص٥١٧).

(٢) حكاه النيسابوري، ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/٥٦٨)، وهو مخالف لظاهر الآية وأن إبراهيم عليه السلام إنما نظر في النجوم التي في السماء لا في النبات.

(٣) كذا في جميع النسخ.

(٤) اختلف في قائله: فابن طباطبا في عيار الشعر (١/١٣١) نسبه للنَّمِر بن تَوْلَب . وأبو منصور الثعالبي في الإعجاز والإيجاز (١/١٤٥) نسبه للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه، ينظر: ديوان النابغة الجعدي (ص١٧). وأبو إسحاق القيرواني في زهر الآداب (١/٢١١) نسبه لعمرو بن قميئة ، وهو في ديوانه (١/٣٩). ونسبه الجرجاني في دلائل الإعجاز (١/٢١١) وابن خلكان في وفيات الأعيان (٧/٩٣) والنويري في نهاية الأرب (٣/٦٤) للبيد. أما ابن حمدون في التذكرة الحمدونية (٦/١٠) فقد نسبه لعبد الرحمن بن سويد المري.

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فالكذِبُ على الشّخصِ حرامٌ كُلُّهُ ، سواءٌ كان الرّجُلُ مُسلِمًا أو =

فذهب إلى آلهتهم خفية، من روغة الثعلب [1]، وأصله: الميل بحيلة، فخاطب الأصنام مستهزئًا بها: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [٧٥٢/ب] الطعام، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾: فأقبل عليهم مستخفيًا، وكان سبب الضرب الإقبال مستخفيًا فضربهم، أو فراغ عليهم بضربهم ضربًا، فيكون منصوبًا على المصدر على أصله، أو بمعنى الضارب، والقيد باليمين لبيان شدة الضرب؛ لأن اليمين أقوى، وقيل: بالقوة [2]، وقيل: لتحقيق التأكيد في اليمين في اليدين، فاليمين الحلف[3]، والتعدية بـ(على) لتضمن معنى الميل فيه.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

أي: أَسرَعوا، من زفيف [4] النَّعام، وهو أوَّل سيره، وقرئ على بناء المفعول [1]، أي: يُحمَلون على الزفيف، وقراءة ﴿يُزِفُّونَ﴾[2] معناها: يزفُّ بعضهم بعضًا، أو دوابهم عليه،

=

كافِرًا، برًّا أو فاجِرًا، لكِنّ الِافتِراء على المؤمِنِ أشدُّ، بل الكذِبُ كُلُّهُ حرامٌ، ولكِن تُباحُ عِند الحاجةِ الشّرعِيّةِ المعارِيضِ، وقد تُسمّى كذِبًا لِأنّ الكلام يعنِي بِهِ المتكلِّمُ معنًى، وذلِك المعنى يُرِيدُ أن يفهمهُ المخاطِب، فإذا لم يكُن على ما يعنِيهِ فهُو الكذِبُ المحضُ، وإن كان على ما يعنِيهِ ولكِن ليس على ما يفهمُهُ المخاطبُ فهذِهِ المعارِيضُ، وهِي كذِبٌ بِاعتِبارِ الأفهامِ، وإن لم تكُن كذِبًا بِاعتِبارِ الغايةِ السّائِغةِ، ومِنهُ قولُ النّبِيِّ ﷺ: ((**لم يكذِب إبراهِيمُ إلّا ثلاث كِذباتٍ، كُلُّهُنّ فِي ذاتِ الله: قولُهُ لِسارة: أُختِي، وقولُهُ: ﴿بل فعلهُ كبِيرُهُم هذا﴾، وقولُهُ: ﴿إنِّي سقِيمٌ﴾**))، وهذِهِ الثّلاثةُ معارِيضُ . ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢٣/٢٨).

(١) راغ يروغ روغًا وروغانًا: حاد، وراغ إلى كذا أي: مال إليه سرًّا وحاد، وأراغه هو وراوغه: خادعه. لسان العرب (٤٣٠/٨)، مادة: (روغ).

(٢) حكاه الزجاج في معاني القرآن (٣٠٩/٤)، وضعفه ابن جرير في جامع البيان (٥٧٢/١٩).

(٣) هي اليمين التي سبقت من إبراهيم عليه السلام وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٣٩/٣).

(٤) في جميع النسخ عدا (ن): زيف، وما أثبته في: (ن). والزفيف: سرعة المشي مع تقارب خطو =

ويقرأ مِن وَزَف يزِف [٣] إذا أسرع، و ﴿ يَزْفُون ﴾[٤] زفاه إذا حداه، ولا منافاة بين: ﴿ نَوَلَّوْا[٥] عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾، وبيّن هذا التناول بأنه قد أبصر بعضهم دون بعض ونحوه.

ثم أنكر إبراهيم عليه السلام عليهم عبادة الأصنام على الاستفهام المتضمن له بأنه كيف يصح ترك عبادة الذي هو خالقهم وخالق أعمالهم أو أصنامهم؛ لأنها وإن وجدت بأفعالهم لكنها تتوقف على إقدار الله إياهم، وكذلك الدواعي والعدد كموادها من الخشب وغيره. وحمل العمل على المعمول ليطابق ما ينحتون غير مدلول عليه بدليل يقتضي حمل عليه.

وفيه دليل على أن الأعمال مخلوقة لله، والمعنيان الآخران مرجوحان بالنسبة إليه؛ لما فيه من حذف أو مجاز لحمل العمل على المعمول [٦]. ودعوى المعتزلة أن حمل ﴿ مَا ﴾ على المصدرية باطل بالعقل والنقل، ويأباه معنى الآية، قد سبق فيما تقدم من الأدلة الدالة على

=

وسكون، وقيل: هو أول عدو النعام. لسان العرب (١٣٦/٩)، مادة: (زفف).

(١) أي: (يُزَفُّون). عن ابن مقسم. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٦).

(٢) أي: بضمِّ الياء وكسر الزاي، وهذ قراءة حمزة وحده، وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الزاي . ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٦).

(٣) أي: ﴿ يَزِفُون ﴾. عن الضحاك ويحيى بن عبد الرحمن المقرئ وابن أبي عبلة وعبد الله بن يزيد. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٢٨)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٦).

(٤) عن ابن أبي عبلة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٦).

(٥) كذا في جميع النسخ كتبت بدون فاء.

(٦) قال البيضاوي: " ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: وما تعملونه، فإن جوهرها بخلقه وشكلها وإن كان بفعلهم، ولذلك جعل من أعمالهم ، فبإقداره إياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد، أو عملكم بمعنى: معمولكم؛ ليطابق ﴿ مَا تَنْحِتُونَ ﴾، أو أنه بمعنى: الحدث؛ فإن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك ، وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الأعمال، ولهم أن يرجحوه على الأولين لما فيه م١ من حذف أو مجاز ". أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٩/٥).

بطلان ما حسبتموه أدلة لهم عقلًا ونقلًا أعني مسألة خلق الأعمال، وأما إباء معنى الآية فهو محض مصادرة؛ لأن النزاع في أن المراد بالعمل المعمول، فكيف يصح دعوى كون العابد والمعبود خلق الله هو مجرد دعوى يقابل بالمنع؟! بل المعنى كون العابد وعمل المعبود وهو أبلغ؛ لأنه إذا كان الله خالق العمل الذي هو سبب وجود المعمول، فينبغي أن لا يعبد غير الله.

وقولهم: ولو قال: (خلقكم وخلق عملكم) لم يكن محتجًا عليهم، ممنوع لما سبق. وكذا دعوى عدم التعسف أيضًا دعاوى[1] من غير دليل على ذلك، فلا يستحق الحور[2].

و﴿ ٱلْجَحِيمِ ﴾ من الجحمة[3]، وهي شدة التأجج، أي: ألقوه في نار شديدة في ذلك البنيان، واللام بدل المضاف إليه، أي: جحيم ذلك البنيان، وسبب هذا القصد أنهم لما قُهروا بالحجج الباهرة قصدوا تعذيبه؛ لئلا يظهر صحة دعواه للعامة، فجعلهم الله الأذلين، بأن قلب عليهم ذلك، وصار برهانًا ساطعًا لإبراهيم عليه السلام، حيث صارت بردًا وسلامًا عليه، فكانت من أعظم المعجزات.

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

أي: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمهاجرة إليه، وهي أرض الشام، والله سبحانه سيهديني إلى ما فيه صلاح أمور ديني ودنياي ويعصمني. ويحتمل أن يكون هذا كله من وعد الله إياه، أو مما عهد من لطف الله معه، أو أراد توكله عليه، و ﴿ مِنَ ﴾ في ﴿ مِنَ

(١) في (ح): (دعوى).

(٢) الصحيح أن أفعال العباد مخلوقة، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، وهذه الآية دليل عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٨/٤٠٦): "أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها، كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام؛ الإمام أحمد ومن قبله ومن بعده".

(٣) في (أ، ب، ح، ج، د): (الجحم). والجحيم: النار الشديدة التأجج ، وكذلك الجَحْمةُ والجُحْمةُ . ينظر: لسان العرب (١٢/ ٨٤).

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ للتبعيض، والمراد الولد لغلبة استعمال الهبة فيه، نحو: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، فبشره الله بإعطاء ولد ذكر يدرك زمان الحلم، فإن الصبي لا يوصف بالحلم ويكون (١) حليمًا، وأي حلم أعظم مما يحمله على ذلك الجواب في عرض الذبح؟! (٢) وقيل: ما نعت الله نبيًا بالحلم غير إبراهيم حيث قال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وولده عليهما السلام وذلك لعزة الحلم(٣).

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

أي: بلغ سنًا يسعى مع أبيه في الأشغال، والظرف متعلق بمحذوف دل عليه السعي، نحو: يوافق، ولا يتعلق بالسعي؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه، ولا يتعلق بـ ﴿بَلَغَ﴾، فإن بلوغ الولد يكون مع بلوغ الوالد، وما قيل: إنه بيان كأنه لما بلغ السعي فقيل: مع من؟ فقال: معه.

وتخصيص الأب لأنه أعطف الخلق به، فلا يعنفه للاستسعاء ما لا يحتمله؛ لأنه كان ابن ثلاث عشرة سنة، ويعلم منه أنه قد بلغ في الحلم وفسحة الصدر ما جسَّره على تحمل تلك البلية في حال الطفولية.

وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ﴾ قيل: رأى مشاهدًا تأويله، وقيل: بل قيل له في المنام: اذبح ولدك، فروّى وفكر لما أصبح، فسمي التروية. ثم رأى الليلة الثانية كذلك، فعلم أنه من الله؛ ولهذا قال بلفظ المستقبل دون الماضي، لا من الشيطان. ورأى الليلة الثالثة، فسميت الأيام الثلاثة بالتروية، ويوم عرفة كذلك، ويوم النحر سمي به لقصده الذبح.

---

(١) في (ب، ح، ج، د): (فيكون).

(٢) هو قوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢].

(٣) لم أقف على قائله.

وما ترى من الرأي على وجه المشاورة، وليس ذلك لتردد في امتثال أمر الله. ويقرأ: ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾[1]، أي: تبصر من رأيك، وعلى بناء المفعول [2]، أي: تريك نفسك من الرأي.

وأصل ﴿تُؤْمَرُ﴾ تؤمر به، ففعل كما في أمرتك الخير، فافعل ما أمرت به، أو التقدير: أمرك من إضافة المصدر إلى المفعول، بتقدير تسمية المأمور به أمرًا.

وفائدة المشاورة [٧٥٣/أ] تعليمها للناس، وليعلم ما عنده في نزول البلاء، فيثبت قدمه، ويصبره إن جزع، ويأمن عليه الزلل إن صبر، ولتوطين النفس، فإن المغافصة[3] شديدة.

وكون ذلك في المنام له نظائر، كقصة يوسف، ورؤيا فتح مكة، وليكون دليلًا على قوة حال الأنبياء في الصدق، حيث تواطأت مناماتهم حال اليقظة فيه.

والأظهر أن الذبيح كان إسماعيل [4] لقوله عليه السلام: ((**أنا ابن الذبيحين**))[1]، هو عبد الله نذر عبد المطلب أن يذبحه، وإسماعيل عليه السلام، وإليه ذهب ابن عباس وابن عمر [2] ومحمد بن

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وعاصم: (تُرِي) بضم التاء وكسر الراء، وقرأ الباقون: (تَرَى) بفتحهما. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٧).

(٢) أي: بضم التاء وفتح الراء. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٧).

(٣) غافَصَ الرجلَ مُغافصةً وغِفاصًا أخذه على غِرَّة فركِبَه بمساءة، وفي نوادر العرب: أخذتُه مُغافصةً ومُغابصةً ومُرافصةً أي: أخذتُه مُعازَّة. ينظر: تهذيب اللغة (٦٢/٨)، لسان العرب (٦١/٧)، مادة: غفص.

(٤) وهو الذي عليه المحققون من أهل العلم. قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٦٦/١): "الذبيح إسماعيل، لأنه كان هو المقيم بمكة، وإسحاق لا نعلم أنه قَدِمها في حال صِغَره، وهذا هو الظاهر من القرآن، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل؛ لأنه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١١٢]"، قال: "وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، ولا يُفهَم هذا من القرآن، بل المفهوم، بل المنطوق، بل النص عند التأمل أنه إسماعيل". وقال ابن القيّم في زاد المعاد (٧١/١): "وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه =

كعب القرظي[٣] وجماعة من التابعين، وكونه إسحاق مذهب أهل الكتاب، وروي عن علي بن أبي طالب والعباس وابن مسعود وعطاء [٤] وعكرمة ﷺ أجمعين وجماعة من التابعين؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن أكرم الناس فقال: ((**يوسف بن إسرائيل بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله**)) [٥]. وأجيب بأن هذه زيادة من الراوي، والصحيح: ((**ابن إسحاق**)).

=

إسحاق باطل بأكثر من عشرين وجهًا، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم".

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٥٩٧/١٩)، قال عنه ابن كثير في تفسيره (٢١/٤): "هذا حديث غريب جدًا"، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (٤٣٣/١٢).

(٢) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، أول مشاهده الخندق، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، مات سنة ثلاث وسبعين، وله سبع وثمانون سنة. ينظر: الاستيعاب (٩٥٠/٣)، الإصابة (١٨٢/٤).

(٣) هو: محمد بن كعب القرظي، حليف الأنصار، يكنى أبا حمزة، تابعي مشهور، ولد في آخر خلافة علي سنة أربعين ، وكانت وفاته سنة ثمان ومائة . ينظر: الاستيعاب (١٣٧٧/٣)، الإصابة (٣٤٥/٦).

(٤) هو: عطاء بن أبي رباح ، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم ، المكي، يقال: ولاؤه لبني جمح ، ولد في أثناء خلافة عثمان ﷺ، وكان من أوعية العلم ، وإليه انتهت فتوى أهل مكة ، وكان ثقة فقيها عالمًا كثير الحديث، مات سنة أربع عشرة ومئة، وقيل: سنة خمس عشرة ومئة، وقد عاش ثمان وثمانين سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٧٨/٥).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٩/١٠) عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن أكرم الناس، وذكره. قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٧/٨): "رواه الطبراني، وبقية مدلس، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه"، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٠٨/١). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٤/٨) لأبي الشيخ عن ابن عباس ﷺ قال رجل للنبي ﷺ: يا خير البشر، فقال: ((**ذاك يوسف صديق الله، ابن يعقوب إسرائيل الله، ابن إسحاق ذبيح الله**)).

وما تمسكوا به من قوله: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ﴾ أنه بُشِّر به أولًا ثم بشر بنبوته ثانيًا، وكان أبو عمرو[1] يقول: متى كان إسحاق بمكة؟! وقَرْن الكبش كان مترائيًا لولد إسماعيل، وكان معلقًا بالكعبة إلى أن أحرقها الحجاج[2] أيام الزبير[3].

وسأل عمر بعض من أسلم من اليهود فقال: إنهم يعلمون أنه إسماعيل، ولكن يحسدونكم يا معشر العرب.

وتمسك أبو حنيفة بهذه الآية على أن من نذر ذَبحٍ، يلزمه ذبح شاة [4]، وهو كما ترى في الدلالة. وما روي أن عبد المطلب فدى عبد الله بمائة، وكذلك سبب الدية من هذا القبيل.

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

(١) هو: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني البصري ، شيخ القراء والعربية ، قيل: اسمه زبان، وقيل: العريان، ولد في نحو سنة سبعين ، توفي سنة أربع وخمسين ومئة ، وله ست وثمانون سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/٤٠٧).

(٢) هو: الحجاج بن يوسف الثقفي، أبو محمد، ولد عام الجماعة سنة أربعين، ولاه عبد الملك الحجاز، ثم عزله عنها وولاه العراق ، كان ذا شجاعة وإقدام وفصاحة وبلاغة وتعظيم القرآن، مع بطش وسفك للدماء، توفي في سنة خمس وتسعين. ينظر: بغية الطلب فى تاريخ حلب (٥/ ٢٠٣٧)، سير أعلام النبلاء (٤/٣٤٣).

(٣) هو: الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي ، أبو عبد الله ، حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، أسلم وله اثنتا عشرة سنة ، وقيل: ثمان سنين ، وهاجر الهجرتين، قتل غدرا في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وله ست أو سبع وستون سنة. ينظر: الإصابة (٢/٥٥٣).

(٤) هكذا في جميع النسخ، وفي الكشاف: " استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة"، فلعل كلمة: "ولده" سقطت.

أي: استسلما لأمر الله، يقال: سلم وأسلم واستسلم بمعنى واحد، والمعنى: انقادا وخضعا له. والأصل سلم هذا لفلان، أي: خلص له، أي: سلم من المنازعة، وسلم وأسلم واستسلم بمعنى واحد، منقولان من سلم[1]، أي: أخلصا نفسهما لله، وجعلاها خالصة له.

وقيل: سلم إبراهيم ابنه وهو نفسه.

﴿وَتَلَّهُۥ﴾ أي: صرعه[2]، وكان على شقه، فوقع أحد جنبيه على الأرض، وهو جانب الجبهة؛ للتواضع ومباشرة البلاء بصبر وجلد. وقيل: كبه على وجهه باستدعائه؛ لئلا يرى وجهه فيرق له ويتوقف في ذبحه[3].

ومكانه عند الصخرة، أو المكان الشرف على مسجد منى، أو منحر اليوم.

وحذف جواب ﴿لَمَّا﴾ للتعظيم؛ إذ المعنى: كان ما كان مما ينطق به الحال من الاستبشار من الشكر لله بنعمة دفع البلاء والقيام بامتثال أمر الله المستعقب لهذه النعمة وتحصيل مرضاة الله سبحانه، ويدل عليه بتعليل الفداء والخلاص عن البلاء بكونهما من المحسنين.

والنداء بقوله: ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ كان من جبريل حين أمرَّ السكين على حلقه، فلم تعمل؛ لأن الله جعله صحفة نحاس، ثم كبه على وجهه، وانقلب السكين، وناداه جبريل.

ومما روي من قوة نفس الذبيح عليه السلام أن إبراهيم قال له: خذ الحبل والمدية لنحتطب، فلما توسّطا الشعب أخبره، فقال: اشدد رباطي لا أضطرب، واكفف عني ثيابك لا تتلطخ بالدم فينقص أجري أو تراه أمي، وإن رأيت أن ترد قميصي عليها ليكون أسهل عليها فافعل. ومما قال: اشحذ شفرتك، وأسرع إمرارها على حلقي؛ ليكون أهون؛ فإن الموت

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٢٩٥)، مادة (سلم).

(٢) تَلَّه يَتُلُّه تَلًّا، فهو مَتْلُول وتَلِيل: صَرَعه، وقيل: ألقاه على عنقه وخده، والأول أعلى، وبه فسر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾. لسان العرب (١١/ ٧٧).

(٣) قاله مجاهد. ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ١٤٠-١٤١).

شديد، واقرأ على أمي السلام. فقال إبراهيم عليه السلام: نِعم العون أنت يا بني على أمر الله، ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما[1]، فوضع السكين على [حلقه][2] وأتاه الفداء[3].

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

كون البلاء مبينًا لظهور كونه اختبارًا يتميز المخلص معه عن غيره، أو ظاهره الشدة.

والذِّبح ما يذبح، عن ابن عباس: أنه الكبش الذي قربه هابيل إلى الله سبحانه، وكان يرعى في الجنة حتى فُدِي به [4]. وعن الحسن: أنه كان وعلًا أُهبط عليه من جبل ثبير [5]، وهو غنم[6]، والعظيم: ضخم الجثة سمين، والسنة في التضحية ذلك، قال عليه السلام: ((**عظِّموا ضحاياكم، فإنها على الصِّراط مطاياكم**))[7]. أو عظيم القدر حيث فدى الله به نبيًا ابن نبي، وأي نبي يكن من نسله سيد المرسلين وأكرم الخلق الأولين والآخرين من الخلائق على رب العالمين.

قيل: كان كبشًا أقرن أملح، وما قيل: إنه كبَّر جبريل وكبَّر إبراهيم وكبَّر الكبش لا يلائم ما قيل: إنه هرب حتى رماه إبراهيم سبع رميات، فالأولى رمي الشيطان سبعًا عند الوسوسة.

---

(١) كذا في جميع النسخ، وهناك سقط، ففي الكشاف: (وهما يبكيان).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ب، ح).

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٧٨/٢٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥٤/٨).

(٤) ينظر: جامع البيان (٨٦/٢٣).

(٥) ينظر: جامع البيان (٨٧/٢٣).

(٦) كذا في (ح)، وفي بقية النسخ غير واضحة . قال الزجاج: "قيل: إنه كان وعلًا من الأوعال، والأوعال: التيوس الجبلية". معاني القرآن (٣١٢/٤).

(٧) قال العجلوني في كشف الخفاء (٧٨٥/٢): "ذكره إمام الحرمين في النهاية ، ثم الغزالي في الوسيط ، ثم الرافعي في العزيز. قال ابن الصلاح : هذا حديث غير معروف ، ولا ثابت فيما علمناه "، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٤): "لا أصل له".

لا يقال: إنه كيف صدق الرؤيا ولم يذبح؟

لأنا نقول: إنه قد أمرَّ الشفرة على الحلق مرارًا، وهو نهاية مقدوره، ومنع الله السكين من الذبح لا ينافي قصده وفعله. ولا يشكل بأنه إذا كان قد فعل ذلك لم يحتج إلى الفداء؛ لأن الفداء لعدم تمام الذبح، وذلك القدر من الفعل وإن كان كافيًا لكن الحكمة أن يوجد ما منع منه من تمام الذبح في بدله، ليكون كالتكميل للمأمور به.

وإسناد الفداء إلى الله مع أن إبراهيم هو الفادي؛ لأنه [(١)] السبب في تمكنه بموهبة ما يفدي.

وفي الآية دليل على أن الله يأمر بما لا يريد[(٢)]، وأنه يجوز نسخ الوجوب قبل العمل[(٣)].

---

(١) في (أ، ب، ح، ج، د): (لأن).

(٢) نعم يأمر الله تعالى بما لا يريده قدرًا، لكن كلُّ ما أمر به فقد أراده شرعًا. وهنا في هذه القصة أمر الله تعالى نبيَّه إبراهيم أمرًا شرعيًّا، وقد امتثل الخليل عليه السلام هذا الأمر، ولكن لم يرد الله قدرًا أن يقع الذبح.

(٣) في النسخ في هذه الآية ثلاثة أقوال:

الأول: أنّ الذبح منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾، فهي من قبيل نسخ الشيء قبل أن يعمل به.

الثاني: أن هذا مما لا يجوز فيه النسخ؛ لأنه أمر بشيء غير ممتدّ فلا يجوز فيه النسخ، وهو باطل؛ لأنه يترتب عليه القول بالبداء، وهو باطل في حق الله تعالى. قال النحاس: "وقد فعل إبراهيم عليه السلام ما أمر به، وإنما أشكل على قائل هذا القول قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾؛ لأنه جهل معناه، ولم يدر المَفدِي على الحقيقة، وإنما المَفدِي ابنه، وإبراهيم عليه السلام قد فعل ما أمر به". الناسخ والمنسوخ (٦٣٩/١).

الثالث: ليس في الآية نسخ، وإنما إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح، وقد فعل ما يتهيأ له، وليس منعه من ذلك بمنسوب إليه. قال النحاس: "وهذا قول صحيح حسن، عليه أهل التأويل". الناسخ والمنسوخ (٦٣٨/١).

﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [٧٥٣/ب]

أي: وبشرنا إبراهيم بإسحاق نبيًا، وهو حال مقدرة؛ لأن النبوَّة لم تكن حاصلة حال البشارة؛ ولهذا قال في "الكشاف": "لا بد من تقدير مضاف، أي: وبشرناه بوجود إسحاق، أي: بأن يوجد مقدار نبوته، فالعامل الوجود لا فعل البشارة. قال: وبهذا الضمير مثل: ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]"[(١)]؛ لأن الحال حلية فلا يقوم إلا بالح:لى، فإن في (ادخلوا) المدخول موجود مع وجود الدخول فكان التقدير: مقدرين الخلود. قال صاحب "الأنوار" ردًا عليه: «التقدير: مقضيًا نبوته، مقدرًا كونه من الصالحين، وبهذا الاعتبار وقعا حالين، ولاحاجة إلى وجود المبشر به؛ فإن وجود ذي الحال غير [(٢)] بل الشرط مقارنه، تعلق الفعل به، فلا حاجة إلى تقدير مضاف ». ثم قال: «ومع ما ذكرت لا يصير مثل: ادخلوها[(٣)]، فإن الداخلين مقدرين [(٤)] خلودهم، وإسحاق لم يكن مقدرًا نبوة نفسه وصلاحها، وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأن الصلاح إشارة إلى أنه الغاية لها؛ لتضمنها معنى الكمال، والتكميل بالفعل على الإطلاق»[(٥)].

ومعنى ﴿ بَٰرَكْنَا ﴾ وما يقرأ من ﴿ بَرَّكْنا ﴾[(٦)] معناه: أعطيناهم بركات نعم الدين والدنيا، فيندرج تحته ما قيل: باركنا على إبراهيم في أولاده، وعلى إسحاق أن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه، وبلغوا ألفًا، أولهم يعقوب، وآخرهم عيسى عليهما السلام.

---

(١) في جميع النسخ: (ادخلوا خالدين)، وفي الكشاف (٦١/٤) وردت الآية كما أثبتت.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وهنا سقط وهو كلمة: "شرط"، ففي الأنوار: "فإن وجود ذي الحال غير شرط...". أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٥-٥٩٦).

(٣) كذا في جميع النسخ، وفي الأنوار: ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾.

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي الأنوار: (مقدرون).

(٥) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٥-٥٩٦).

(٦) ذكرها الزمخشري من غير نسبة. ينظر: الكشاف (٦١/٤).

الظالم لنفسه هو: المشار إليه بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وفي الآية دليل على أن العرق الطيب قد يأتي منه الخبيث، ولا عيب على الطيب.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

هذا بيان حال المحسن من الذرية، والمنة عليهما بالمنافع ودفع المضار، الأول: كالنبوة وغيرها من النعم الرتبية من العقل وتحصيل صفات الكمال والمعجزات المبينة للنبوة، والدنيوية كالصحة والحياة والتربية، والثاني: وهو دفع المضار كالإنجاء من ظلم فرعون وقومه، وقيل: إغراقهم وهو ديني أيضًا؛ لتضمنه التمكن من عبادة الله.

وفي تقديم الضمير مبالغة في الغلبة على أعدائهم، وجمع الضمير لإرادة القوم معهما أيضًا.

و﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة، وهو مشتمل بيان بليغ كما وصف بأنه نور وهدى.

و﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: فسر بأنه صراط أهل الإسلام المنعم عليهم، السالمين من الغضب والضلال. والمراد التثبيت عليه.

والسلام شامل لسلامة الدارين. ووصف الإحسان والإيمان قد سبق معناه.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

الجمهور أنه نبي من بني إسرائيل[1]، بعث بعد موسى عليه السلام. قيل: كان من ولد هارون، قيل: هو إدريس [2]؛ بدليل أنه يقرأ: ﴿إدريس﴾[3]، و ﴿إدراس﴾[4]، و ﴿الياس﴾ بالوصل[5]، و ﴿إيليس﴾[6]، و ﴿إيليسين﴾[7]، و ﴿إدراسين﴾[8]، قيل: مركب كإسرائيل، كإسرائيل، قيل: كان في زمانه ملك يقال له: أجب وله زوجة تقال لها: أزبيل، تبرز للناس وتحكم كزوجها، فدعاهما إلى الدين، فهمَّا بقتله، فاختفى منهما سبع سنين، ثم أوحى الله إليه أن يخرج إلى موضع كذا، ويركب ما يأتيه، ولا يخاف. فجاء فرس من نار، فركبه، فناداه اليسع وهو خليفته: ما تأمرني؟ فألقى إليه كساءه من الجو علامة استخلافه، ونزع الله عنه لذة المشرب والمطعم، وكساه الريش، فكان إنسيًا ملكيًا أرضيًا سماويًا [9]، وقيل: بعث بعد

(١) ينظر: جامع البيان (٦١٢/١٩)، البداية والنهاية (٢٧٢/٢).

(٢) مروي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، والضحاك، وقتادة. ينظر: جامع البيان (٦١٢/١٩)، النكت والعيون (٦٤/٥). والصحيح أنه غيره، كما قرره ابن جرير في جامع البيان، وابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٨/٢).

(٣) عن ابن مسعود ويحيى والأعمش. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٨)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٧).

(٤) ذكرها الزمخشري من غير نسبة. ينظر: الكشاف (٦٢/٤).

(٥) عن ابن محيصن وأبي رجاء. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٧).

(٦) قراءة أُبيّ رضي الله عنه. ينظر: المحتسب (٢٧٢/٢)، البحر المحيط (٣٥٨/٧).

(٧) قراءة أُبيّ رضي الله عنه. ينظر: المحتسب (٢٧٢/٢)، البحر المحيط (٣٥٨/٧).

(٨) قراءة ابن مسعود رضي الله عنه. ينظر: المحتسب (٢٧١/٢)، معاني القرآن للفراء (٣٩١/٢). قال ابن جني في المحتسب: "وأما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه فيجب أن يكون من تحريف العرب الكلم الأعجمي؛ لأنه ليس من لغتها".

(٩) ينظر: الكشف والبيان (١٥٩/٨). قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٤/٢): " في هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة".

حزقيل لما عظمت الحوادث في بني إسرائيل[١]، وما قيل: إنه والخضر آخر من يموتان، الخضر الخضر موكل بالبحر وإلياس بالفيافي[٢]، فقد رده الحسن[٣].

ومن صحة هذه القصة يلزم عبادة بني إسرائيل الصنم لما قيل: إن بعلًا صنم من ذهب، طوله عشرون ذراعًا، وله أربعة أوجه، عظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن، ينقلون شريعة الضلال عن شيطان يدخل في جوفه ويتكلم. وقال في "المفاتح": «هذا مشكل بكثير من معجزات النبي عليه السلام؛ كتكلم الذئب وحنين الجذع »[٤]. ولقائل أن يقول: الجواب عنه كالجواب عن التباس السحر بالمعجزة حيث قلنا: يتميز أحدهما عن الآخر بالصدور عن الشرير وهو الساحر، والنفس القدسية وهو النبي، كذلك شريعة الضلال التي هي منبع الفساد يتميز عن كلام الله، وإمداد النبي بحقية ذلك.

وبك من بلاد تسمى بعلبك[٥]، وقيل: البعل اسم الرب[٦]، أو امراة عندها قوم يعبدون يعبدون ذلك الصنم[٧]، أو بعض البعول. [٧٥٤ / أ]

---

(١) ينظر: النكت والعيون (٥/٦٤).

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور: "أخرج ابن عساكر عن الحسن رضي الله عنه قال: إلياس عليه السلام موكل بالفيافي".

(٣) ينظر: رسالة اللباب للكرماني ١٣٠٢/٢ [تحقيق: إبراهيم الدومري]. وقد بيّن ابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٤/٢)، أن هذا لم يصحَّ منه شيء وأن الذي يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك إلياس عليهما السلام.

(٤) مفاتيح الغيب (١٦١/٢٦).

(٥) بعلبكّ بالفتح ثم السكون، وفتح اللام والباء الموحدة، والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرّخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل: اثنا عشر فرسخًا من جهة الساحل. معجم البلدان (١/ ٤٥٣).

(٦) وهو قول: ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، ومجاهد. ينظر: جامع البيان (٦١٣/١٩).

(٧) حكاه النحاس في معاني القرآن (٥٥/٦)، وابن جرير في جامع البيان (٦١٥/١٩) عن ابن إسحاق.

دون عبادة أحسن الخالقين، وفي اللفظ بيان سبب الإنكار عليهم المستفاد من الهمزة، و﴿ ٱللَّهَ ﴾ قرئ بالنصب[1]، بدلًا من ﴿ أَحْسَنَ ﴾، ومن استبعد الوصف فلأن حق الصفة أن تكون نكرة تتعرف بالموصوف، وفيه نظر.

ومعنى ﴿ مُحْضَرُونَ ﴾: وعدم ذكر العذاب للقرينة، وفي الشر يطلق الإحضار عرفًا،واستثناء عباد الله من كذبوه، ومنع صاحب "الأنوار" أن يكون من المحضرين؛ معللًا بأنه يفسد المعنى[2]؛ لأنه يلزم أن يحضروا في العذاب.

و﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ قيل: لغة في إلياس،كسيناء وسينين، وميكال وميكائيل[3]، وقيل: أصله أصله بياء النسب، فحذفت كالأعجمين، وفيه شذوذ، وإلياس. وقرئ بإضافة ﴿ ءَالِ ﴾إلى ﴿ يَاسِينَ ﴾[4]، ويدل عليهما كتابتهما في المصحف مفصولين، فقيل: ياسين اسم أبي إلياس، وقيل اسم النبي ﷺ، وآله عترته والمؤمنون[5]، أو آل دين يس وهم المؤمنون [6]، فيشمل العترة. وقيل: اسم القرآن، أو بعض الكتب[7] ولا يناسب النظم نظرًا إلى أن الضمير الضمير لإلياس.

---

(١) النصب هو قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بالرفع. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٣٧٧-٣٧٨).

(٢) ينظر: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل (ص٥٩٦).

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣١٢/٤).

(٤) قرأ نافع وابن عامر ورويس عن يعقوب: (آلِ ياسين) بفتح الألف وكسر اللام مقطوعة من ياسين، وقرأ الباقون: (إِلْ ياسين) بكسر الألف وسكون اللام موصولة بياسين. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٨).

(٥) وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. ينظر: النكت والعيون (٦٥/٥).

(٦) ينظر: الوسيط للواحدي (٥٣٢/٣).

(٧) حكاه أبو علي الجبائي. ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم (ص ٣٥٥)، وهو ظاهر =

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

المراد المرور على ديارهم، أي: أنتم -يا أهل مكة- تمرون على ديارهم ليلًا ونهارًا، أو بكرة وعشيًا على ديارهم، في سفركم إلى الشام؛ لأن سدوم[1] في طريقه.

ومعنى أصبح: دخل[2] في الصباح، وكأنها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحًا والقاصد لها مساء، أفلا تستعملون عقولكم فتخافون بأس الله الذي قد ران فحل بهم أن يفعل بكم مثل ذلك؟!

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

يقرأ: ﴿ يُونِسَ ﴾ بكسر النون[3]. أي: هرب[4]، ويستعمل في الفرار من السيد [5]، ولما لم يكن بإذن الله حسن استعماله، وقيل: إلى حيث لا يهتدي إليه الطالب، وقيل: خرج.

و﴿ ٱلْمَشْحُونِ ﴾: المملوء أو المجهّز، وكان وَعَد قومه العذاب، فلما تأخر مجيئه خرج

= ظاهر الضعف، وهذا القول موافق للقول بخلق القرآن الذي هو مذهب المعتزلة؛ لأن النسبة تكون للمخلوق، وكذلك الانتساب للقرآن على أنه مخلوق كما يزعم المعتزلة.

(١) سَدُوم: فعول من السّدم، وهو الندم مع غمّ، مدينة من مدائن قوم لوط . انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٠٠).

(٢) في جميع النسخ عدا (ح): (جعل).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٦٣/٤).

(٤) معنى: أبَق.

(٥) الإباقُ: هرب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كدّ عمل. لسان العرب (٣/١٠)، مادة: (أبق).

كالمُتَشَوِّر[1] منهم، وما يتصور ذنبًا له والسبب فيه قد سبق عند قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ ﴾ الآية [الأنبياء: ٨٧]، وقيل: خرج كعادة الأنبياء إذا نزل بقومهم العذاب.

والمساهمة: المقارعة[2]، قيل: ثلاثًا[3]، وقيل: سبعين[4]، وقيل: مرة.

والمدحض: المغلوب المفروع، وأصله: الذي زلق عن محل الظفر والغلبة[5]؛ وذلك لأنه لما لما وقفت السفينة [قالوا][6]: هنا عبد أبق من سيده، فلم يجر [7] لذلك بزعمهم، فاقترعوا فخرجت عليه، فقال: أنا الآبق، فألقى نفسه إلى البحر، فالتقمه الحوت وهو داخل في الملام، يقال: إن لائم مليم، أي: هو أحق باللوم، ويقرأ بالفتح[8] كمَشيب.

[﴿ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾][9] أي: لولا أنه كان كثير التسبيح والتقديس، أو قول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، أو المصلين، كما حمل التسبيح على الصلاة في غيره، للبث في بطن الحوت حيًا إلى يوم القيامة، أو كان له قبرًا إلى يوم البعث. قيل: كان كثير الصلاة في الرجاء، والعمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، ولبثه قيل: أربعون [10]، أو عشرون،

(١) تَشَوَّر الرجلُ: أي خَجِل، وشَوَّرتُ الرجلَ إذا خجَّلْتُه فخَجِل. ينظر: لسان العرب (٤/٤٣٤)، مادة: (شور).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٦/ ٨٤)، مادة (سهم).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/١٥٥) عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه.

(٤) لم أقف عليه، والله أعلم.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ١١٧)، لسان العرب (٧/ ١٤٨)، مادة: (دحض).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وثابت في (ح).

(٧) أي: السفينة.

(٨) أي: (مَليم). ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/٦٣).

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ح).

(١٠) قاله: أنس بن مالك، وكعب، وأبو مالك، وابن جريج، والسدي. ينظر: جامع البيان (١٩/ ٦٣١).

أو سبعة[1] أو ثلاثة[2]، أو شيئًا قليلًا، وأوحى الله إلى الحوت أن جعلتُ بطنك سجنه، لا لا أنّه طعامك.

روي أن الحوت لم يفارق السفينة رافعًا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح، فلفظه بالماء لم يتغير منه شيء، فأسلموا[3].

وقيل: كان الموضع قرية بساحل الموصل[4]، والختم بهذه القصة ليكون محرضًا للنبي ﷺ على أذى قومه.

قيل: سبب خروجه أن الملائكة قالوا: يا رب، إنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة لما سمعوا تسبيحه، قال: ذاك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت، فشفعوا فيه.

﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾

العراء: المكان الذي لا شيء فيه يغطيه من شجر وغيره، أو الفضاء، أو الأرض، أو الساحل[5]، وسقمه: ما عراه من التقام الحوت، وقيل: صار بدنه كبدن الطفل في الضعف[6].

الأكثر على أنه القرع. واليقطين: ما له ورق عريض وينشرح على وجه الأرض كالبطيخ. واختصاص القرع؛ لأن الذباب لا يحوم حوله. قيل: لما يبست بكى وأوحى الله تعالى:

---

(١) قاله: عطاء. ينظر: الوسيط للواحدي (٥٣٣/٣).

(٢) قاله قتادة. ينظر: النكت والعيون (٦٨/٥).

(٣) ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٦٣).

(٤) المَوْصِلُ بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة ، إحدى قواعد بلاد الإسلام ، قليلة النظير كبرًا وعظمًا وكثرة خلق وسعة رقعة ، فهي محطّ رحال الركبان ، ومنها يقصد إلى جميع البلدان ، فهي باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان. معجم البلدان (٥/ ٢٢٣).

(٥) تهذيب اللغة (٣/ ١٠٠)، لسان العرب (٤/ ١٥١)، مادة: (عري).

(٦) قاله ابن عباس رضي الله عنهما والسدي. ينظر: جامع البيان (٦٣٢/١٩).

أتبكي على هلاك شجرة ولا تبكي على هلاك مائة ألف أو يزيدون، أو في يد الكافر؟ [1] قيل للنبي ﷺ: إنك تحب القرع! قال: ((**نعم، هي شجرة أخي يونس**))[2].

وقيل: التين، وقيل: الموز، يستظل لها ويأكل من ثمارها، وقيل: كانت وعلة [3] نابَتْه، فشرب من لبنها، وإنبات الشجر عليه كأطناب البيت على الإنسان.

والمرسل إليهم من أرسل إليهم قبل الالتقام، أهل نينوى [4]، وقيل: إرسال ثان، أو إلى غيرهم، أو بشريعة أخرى.

ولفظ ﴿أَوۡ﴾ لأن الناظر إذا رآهم قال: هم مائة ألف أو أكثر، والزيادة قيل: ثلاثون[5]، أو بضعة وثلاثون [6]، أو بضعة وأربعون [7]، أو سبعون [8]. وروي مرفوعًا: ((**عشرون ألفًا أو يزيدون**))[9]، بمرور الزمان؛ لأنه بقي فيهم مدة.

وقيل: بمعنى الواو[10]، ويقرأ به[11]، أو بل[1]، أو المراد الإبهام[2].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٩/٦٣٦)، الوسيط للواحدي (٣/٥٣٣).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/١٠٤)، ولم أقف عليه، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/١٨٠): "غريب".

(٣) الوَعلُ وَجمعه الأوعال: وَهِي الشَّاء الجَبَليَّة. ينظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٢٧)، مادة: (وعل).

(٤) نِينَوَى بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، بوزن طيطوى: وهي قرية يونس بن متى عليه السلام، بالموصل. ينظر: معجم البلدان (٥/ ٣٣٩).

(٥) أي: ثلاثون ألفًا، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. ينظر: جامع البيان (١٩/٦٣٧).

(٦) أي: بضعة وثلاثون ألفًا، وهو قول الحسن. ينظر: الوسيط للواحدي (٣/٥٣٣).

(٧) أي: بضعة وأربعون ألفًا، وهو قول سفيان بن عبد الله البصري. ينظر: النكت والعيون (٥/٧٠).

(٨) أي: سبعون ألفًا، وهو قول سعيد بن جبير. ينظر: جامع البيان (١٩/٦٣٧).

(٩) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٩/٦٣٧) عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن قوله: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ قال: ((**يزيدون عشرين ألفًا**)).

(١٠) حكاه الزجاج في معاني القرآن (٤/٣١٤).

(١١) أي: (ويزيدون). عن جعفر بن محمد وأبي البرهسم. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٨).

وإذا قلنا: إنهم آمنوا أولًا، فالمعنى: جددوا الإيمان.

و﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ هو الآجل المسمى، أي: بَقيْنَاهم في لذة وراحة.

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [٧٥٤/ ب]

قيل: هو معطوف على ﴿ اسْتَفْتِهِمْ ﴾ في أول السورة [٣]، فإن البحث معهم كان في تقرير البعث، وناسب ذلك قصص الأنبياء وأحوالهم في بيان لحوق العذاب على مكذبيهم في الآخرة، وناسب التحذير عما هو أعظم موجبات العذاب في الآخرة، فأمر النبي عليه السلام بأن ينبه على ظهور تلك الأباطيل على الوجه المعقول، وهو أنه إذا كان الله خالق النفوس والأجساد والنبات بزعمهم أقل حالًا من البنين، فما وجه هذا الاختصاص؟ وكذلك الحكم على الملائكة الذين هم أشرف الخلق بعد الأنبياء بكونهم موصوفين بأحسن الصفات بجميع الاعتبارات، وللزم من القول بجعل البنات لله القول بكونه سبحانه من قبيل الأجسام، فإنّ الولادة من خواصها، ولزم ذلك إنكار وجود الصانع؛ ولهذا أكد الثالث [٤] من ثمانية أوجه من التأكيد: ﴿ أَلَآ ﴾ المنبهة، وحرف التحقيق، ونسبتهم إلى الإفك في ذلك، وإطلاقه، واللام، وذكر ضمير (هم) في نسبة الكذب، وإثباته لهم وإطلاقه؛ لأنه أعظم هذه الأنواع في كونه كفرًا قطعيًا كما قال سبحانه: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ [مريم: ٩٠، ٩١].

=

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والفراء. ينظر: معاني القرآن للفراء (٣٩٣/٢)، جامع البيان (٦٣٦/١٩).

(٢) حكاه النحاس في معاني القرآن (٦٢/٦).

(٣) أي: معطوف على قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾ [الصافات: ١١]. ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٦٤)، مفاتيح الغيب (٢٦/ ١٤٦).

(٤) أي: الخبر، حيث بطل القياس والمشاهدة في دعوى أن الملائكة إناث، فلم يبق إلا الخبر الصادق، وأكده من ثمانية أوجه. ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/ ١٤٦).

وما تخصيص [1] الإنكار في جعل ﴿ أَمْ ﴾ معادل الاستفهام بالتفصيل والاستهانة بالملائكة لاختصاص هؤلاء الكفرة بهذين القولين، وذكر علم المشاهدة في رد الوصف بالأنوثة لأنه مما يدرك بالبصر لا بالعقل؛ لأنه ليس من لوازم ذواتهم وفيه إشعار بأنهم لفرط جهلهم كأنهم يزعمون مشاهدته، ففيه تهكم بهم. ويقرأ: ﴿ وَلَدُ اللهِ ﴾[2]. وهو فعل يستوي الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

استفهام إنكار واستبعاد، والاصطفاء: صفوة الشيء، وهو مختاره [3]، وقرئ بكسر الهمزة[4]، على حذف همزة الاستفهام اعتمادًا على ﴿ أَمْ ﴾ المعادلة لها ويكون بدلًا من ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ وفيها أن الإنكار شمل جانبي الجملة فصيغة الإثبات دخيلة، ويمكن أن يجاب عنه بأن حمل بيان ما نسبوه.

ومعنى ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾: بذكر كونه سبحانه منزهًا عن هذه الأباطيل.

فإن قيل: ما وجه ذلك والتذكر يكون لمعلوم قد نسي وهم ما كانوا قائلين بالتنزيه في وقت؟

---

(١) في (أ، ح): (وتخصيص).

(٢) عن الضحاك. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٨).

(٣) الاصطفاء: الاختيار، افتعال من الصفْوَة، ومنه النبي ال .مُصطَفى، والأنبياء ال.مُصطَفَوْن . ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٧٤)، مادة: (صفا).

(٤) هي قراءة أبي جعفر، ونافع برواية إسماعيل، وورش من طريق الأصبهاني. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٧٨).

قلنا: لما كان ذلك كالظاهر الذي لا يشك فيه حتى لو روجع أدنى العوام معرفة لاعترف به، فكأنه أمر مقرر، لم يحتج فيه إلى إقامة دليل، بل يكفي أدنى فكر فيه، كمن نسي شيئًا بحكمه وتحققه.

والسلطان أصله: الحجة[1]، وهنا يريد به كتابا إلهيًّا، بدليل ما بعده، حيث قال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمُ ﴾ النازل عليكم في اصطفاء الله البنات، وكأنه قال: ما ذهبتم إليه لا يدل على صحته المعقول والمنقول، بل هما يدلان على بطلانه.

والإطناب البليغ في ذلك على سخط الله ولحوق العذاب الشديد بهم بما كانوا يكفرون.

وفي الآية دليل على بطلان التقليد؛ حيث طالبهم الله بالدليل على ماقالوه.

﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

حمل الجِنَّة على الملائكة لاجتنابهم، أي: تستُّرهم عن العيون، أو لأنهم خزنة الجنة.

واستشكله في "المفاتح"، وقال: «العطف يقتضي التغاير، والله تعالى قد أنكر عليهم حيث قالوا: الملائكة بنات الله»[2]، ولقائل أن يقول: المغايرة بجميع الاعتبارات غير لازم.

وقيل: المراد ماله قريش [3] جواب ابن عباس لما سألهم وقال: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات الجن. وقيل: هو قول الثنوية القائلين بيزدان وأهرمن حيث قالوا: الله والشيطان أخوان، الله خالق الخير، والشيطان إله الشر [4]. قال: وهذا أقرب عندي، وهذا عجب لأن

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٥)، مادة: (سلط).

(٢) مفاتيح الغيب (١٦٨/٢٦).

(٣) كذا في جميع النسخ! وفي (ب) كأن ميم (ماله) رسمت حاء.

(٤) كان للفرس ملة قديمة يقال لها: الكيومرتية، أثبتوا إلهًا قديمًا وسموه يزدان، وإلهًا مخلوقًا من الظلمة محدثًا، وسموه أهرمن ، ويزدان عندهم هو الله تعالى، وأهرمن هو إبليس ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً. ينظر: المختصر في أخبار البشر (١/ ٥٢).

المنقول في الملل والنحل أن مذهبهم أن بينهما [1] التحارب، فلعل وجه النسب نسب الألوهية إليهما لا الأخوة[2].

والمحضرون: الكفرة، أي: الشياطين يعلمون أن الله يحضرهم النار، ولو كان بينهما نسب لما أحضروا، أو فيه مبالغة بنسبة العلم إليهم، أو نفوس الجنة.

والاستثناء من المحضرين، فإن المخلصين ناجون من الإحضار في النار، أو من الذين جعلوا، وقيل: منقطع، أي: ولكن المخلصين برآء.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

هذا كلام الله، بيّن به بعد ذكر أباطيل الكفار أنهم لا يقدرون على إغواء أحد إلا إذا سبق حكم الله بكونه من أهل النار، فالضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ لله، أي: ما أنتم ومعبوديكم بفاتنين على الله إلا من سبق في علمه كونه من أصحاب النار. ووجه كونهم فاتنين إغواؤهم كما يقال: فتن فلان على فلان امرأته إذا أفسدها عليه، أو الواو في ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى مع، أي: مقرونان.

ويقرأ: ﴿صَالُ﴾ بالضم[3]، فيكون جمعًا؛ لأن من معناه الجمع، وسقوط الواو لالتقاء الساكنين.

وفي الآية دليل على [أن] [4] لا تأثير لإغواء الشيطان إلا بقضاء الله، للتصريح لعدم تأثير لقولهم وأحوال معبوديهم في إيقاع الفتنة، إلا من كان في حكم الله وتقديره من أهل النار.

---

(١) في الأصل: بينهم، وما أثبته في: (ن)، وهو الأنسب للسياق.

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٣٥)، الملل والنحل (٢/ ٣٨).

(٣) عن الحسن وابن أبي عبلة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٨).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ح).

وما قاله المعتزلة أو المراد من ضلَّ بدعاء الشيطان وهم الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

والجواب عنه أنه لا تأثير لإغواء شياطين الجن والإنس إلا من حكمَ عليه بأنه صالِ الجحيم. [٧٥٥ / أ]

وهو صريح في أن حكم الله بالسعادة والشقاوة هو المؤثِّر في حصولهما، هذا وإن كان الضلال بوسوسة الشيطان، فضلاله إن كان بشيطان آخر وتسلسل، وإن انتهى إلى ضلاله لم يكن من الشيطان فهو المطلوب.

وأيضًا كل أحد طالب للاعتقاد الحق، فحصول ضده ليس منه، وأيضًا الدواعي بخلق الله، وأيضًا علم الله بحاله[1] لا يتغير، وأما الآيات التي تمسكوا بها في معارضته بأمثالها فنفي الأدلة سالمة عن المعارض.

﴿وَمَامِنَّآ﴾ بيان لبطلان نسبة البنوة إلى الله؛ لأن المبالغة في حال العبودية وأنهم مصفون للتسبيح والعبادة، فهو اعتراف منهم بالعبودية.

وفيه دلالة على أن لكل واحد درجة في التصرف في العالم ومعرفة الله تعالى لا يتعداها.

و﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ يريد به في أداء الطاعات ومنازل الخدمة، أو درجات المعارف؛ لأن التسبيح تنزيه الله عما لايليق به. قال في "المفاتح": «ومع هذا الحصر الدال على أن طاعة البشر بالنسبة إليها كالعدم، وهذه الألفاظ الثلاثة تدل على أسرار عجيبة من صفاتهم، ومع هذا الحصر كيف يصح أن يقال: درجة البشر تقرب من درجته؟!»[2].

ولقائل أن يقول: هذا منه أعجب من وجوه:

(١) في (ح، ج، د): (سبحانه).

(٢) مفاتيح الغيب (١٧١/٢٦).

الأول: أنه قد أقام [1] عليه برهان المعقول والمنقول على أشرفية أشرف البشر منهم من وجوه شتى.

والثاني: أنه لم لا يجوز أن يكون الحصر باعتبار كثرة العبادة التي لا صارف معها، وعبادة البشر مع قلّتها تكون أشرف للصارف.

والثالث: أن كثرة العبادة الجبلِّية التي كالخارج عن حيز الاختيار لا يلزم أن يكون أشرف، وكون المقام المعلوم دليلًا على أنهم لا يتجاوزون عن مراتب المعارف لا يدل على الأفضلية ممن يترقى دائمًا إلى أنواع المعارف، وهذا إذا لم يقل إنه من كلام النبي والمؤمنين.

والمقام المعلوم درجاتهم في الجنة[2]، أو عند الله في القيامة.

و﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ في الصلاة.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ نزل في صلاة الرجال والنساء معًا، فتأخر النساء عن الرجال بعد نزوله.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿إِن﴾ هي المخففة من المثقلة واللام الفارقة. كان كفار مكة يقولون: لو جاءنا كتاب كالتوراة والإنجيل لأخلصنا عبادة الله، أو علمًا من كتاب ورسول، فقالوا ذلك على وجه التأكيد، فجاءهم أعظم الذكر، وهو القرآن، فكفروا به.

والأولون: قيل: الأنبياء والصالحون، والضمير المجرور يرجع إلى النبي ﷺ، أو إلى الذكر، وقيل: المعنى: لو علمنا حال آبائنا وأنها هل هي كما يقول النبي ﷺ لآمنا به وأخلصنا، وسوف يعلمون، أي: حال وعاقبة أمرهم، وفيه تهديد شديد.

---

(١) في (ح): (قام).

(٢) في (ج): (الجنان).

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

هي سبق الوعد بالنصرة، أي: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾، وتسميتها (كلمة) مع أنها أكثر لأن المقصود أمر واحد، فهي في حكم كلمة.

ولا يشكل إطلاق الغلبة بظفر العدو في بعض المشاهد؛ إذ النظر إلى الغالب وعاقبة الأمر كما لاح من حال النبي ﷺ وخلفائه من بعده، ولا حاجة إلى التأويل بنصرة الآخرة على هذا، وإن روي ذلك عن ابن عباس(١)؛ لأنه كمال الغلبة، أو فيها يتم أثرها.

والحين قيل: يوم بدر، وقيل: فتح مكة، أو الموت، أو يوم القيامة(٢). وقيل: منسوخة(٣).

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ أي: أنظرهم إلى ذلك الوقت، أو أبصر حالهم يومئذ، أو أعلمهم.

﴿ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما يحل بهم من العذاب، وفيه تسلية النبي عليه السلام حيث وعد بأنهم يبصرون نصر الله، وتأييده وثواب الآخرة لرسوله عليه السلام.

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

استعجالهم أنهم لما سمعوا ﴿ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ قالوا: متى هذا الذي توعدنا؟

والنازل: العذاب، أو النبي عليه السلام(١). وساحتهم: دارهم.

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما: (إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة). ينظر: الكشاف (٦٩/٤).

(٢) يوم بدر، قاله السدي. وفتح مكة، حكاه النقاش. والموت، قاله قتادة. ويوم القيامة، قاله زيد بن أسلم. ينظر: النكت والعيون (٧٣/٥).

(٣) بآية السيف، قاله قتادة ومقاتل. ينظر: النكت والعيون (٧٣/٥). وقيل: بل هي محكمة. ينظر: زاد المسير (٩٤/٧).

ولما كانت عادة الغارة صباحًا سميت بالصباح، وإن وقعت في غيره، وهو تمثيل حالهم في عدم الالتفات إلى الإنذار الصادر عن بعض نُصحائِهم بجيش أتاهم بغتة فأغار عليهم، وقطع دابرهم. وقيل: المراد بالصباح اليوم.

ويقرأ: ﴿نُزِّلَ﴾ على إسناده [٢] إلى الظرف [٣]، واللام في ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ للجنس، أي: صباح المنذرَين صباحهم، وساء وبئس مقتضاهما أن يكون الإسناد إلى المبهم [٤]. ويقرأ: ﴿بئس﴾.

قيل: هو نزول النبي ﷺ يوم فتح مكة، وقيل: بخيبر؛ لأنه عليه السلام لما نزل بخيبر رجع اليهود إلى الحصن، فقال: ((**الله أكبر! خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بقوم فساء صباح المنذَرين**))[٥].

والأمر بالتولي والإبصار على هذا لا يكون للتأكيد كما قيل؛ لأنهم قوم آخرون، ويتضمن زيادة التسلية وتحقيق الوعد. وعدم ذكر مفعول الإبصار لتعظيم ما وعد لصحة إطلاقه على جميع المسار والمضار، وتخصيص الإضافة إلى العزة لرد قول المشركين من نسبة الولد وغيرها المنافية لها، وللإشعار باختصاصها بالله في الحقيقة [٧٥٥/ب].

---

(١) ويشهد له ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: ما يحقن بالأذان من الدماء، رقم: (٦١٠)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجنا إلى خيبر، فانتهينا إليهم ليلًا، فلما أصبح ولم يسمع أذانًا ركب، وركبتُ خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا: محمّد والله، محمّد والخميس، قال: فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: ((**الله أكبر، الله أكبر، خَرِبَت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**)).

(٢) في (ح): (إسناد).

(٣) عن ابن مسعود. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٩)، شواذ القراءات للكرماني (ص ٤٠٨). وقد جاء في جميع النسخ الخطية: (ونُزِّلَ)، والظاهر أن الواو زائدة.

(٤) في (أ، ح): (مبهم).

(٥) أخرجه البخاري في أبواب الصلاة في الثياب، باب ما يذكر في الفخذ (٣٦٤)، ومسلم في كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، وفي كتاب الجهاد، باب غزوة خيبر (١٣٦٥).

وأيضًا لا عزة أعظم من التنزه عن النقائص، فناسب تعقيبه بها.

والسلام على الرسل لما قاسوا من المشركين من التكذيب وغيره، وقال النبي ﷺ وعلى المرسلين السلام: ((**إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين؛ فإنما أنا رسول من المرسلين**))[1].

وفيه تعليم المؤمنين بذكر الحمد على النعم، وهذا أعظمها، وكذا أن يقولوا إتمام الكلمة، ويدل عليه ما روي عن علي ﷺ: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليكن آخر كلامه من مجلسه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[2].

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٧٣/٨) من حديث قتادة عن أنس ﷺ به مرفوعًا، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦٦١/١٩) عن قتادة مرسلًا. قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (٢٠٢): "لم يذكروا فيه سماع قتادة له"، ورجّح ابن حجر -كما في الفتوحات الربانية (٣٣٨/٣)- إرساله، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٢٦/٦): "إسناده حسن، لولا أن إبراهيم بن أيوب قال أبو حاتم: لا أعرفه".

(٢) أخرجه البغوي في معالم التنزيل (٦٦/٧)، وفيه أصبغ بن نبَاتة التميمي، وهو ضعيف الحديث. ينظر: تهذيب التهذيب (٣٢٨/١). وذكره ابن كثير في تفسيره (٢٨/٤) من رواية ابن أبي حاتم عن الشعبي مرسلًا.